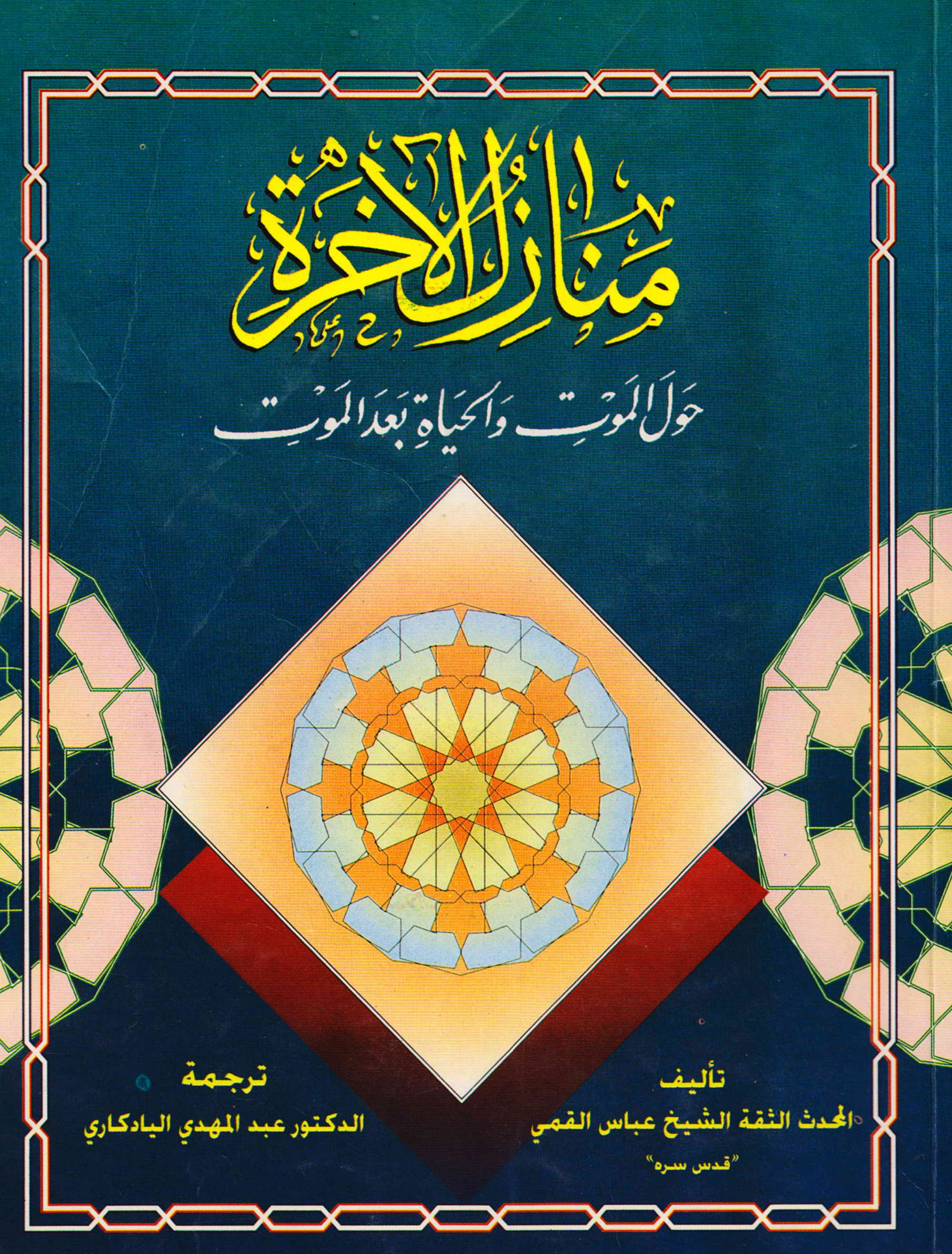


منازل الآخرة

حول الموت والحياة بعد الموت

تأليف

المحدث الثقة الشيخ عباس القمي

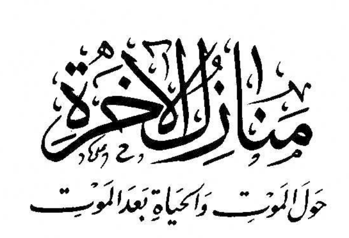
"قدس سره"

ترجمة

الدكتور عبد المهدي اليادكاري

مؤسسة البلاغ

بيروت - لبنان


منازل الآخرة
حول الموت والحياة بعد الموت



تأليف
المحدث الثقة الشيخ عباس القمي "قدس سره"

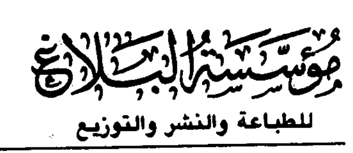
ترجمة
الدكتور عبد المهدي اليادكاري



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م



للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب : بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط٢ - المستودع : صفير - جانب فرن الأمراء

ص.ب : ١١-٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : ٠١/٥٥٣١١٩ - ٠٢/٥١٤٩٠٥ - بيروت لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

وبعد ، يقول الفقير إلى ربّه ، الرّاجي رحمة ربّه ، والمتمسّك بأحاديث آل بيت نبيّه (عليهم السلام) عباس بن محمد رضا القمّي ، ، (قدّس سرّه وطاب ثراه) : أن على الإنسان متى ما عزم على الرحيل أن ، يحمل ـ بحكم العقل والنقل ـ معه الزّاد لسفره ، وحمل الزاد للرحيل من الدنيا إلى الدار الآخرة ، وهو ارتحال لا بّد منه ، أجدر ، وقد روي أن أبا ذر الغفاري كان قد رحل إلى مكة المكرّمة ، فوقف عند باب الكعبة ينادي الحجيج الذين اجتمعوا في مسجد الحرام ، قائلاً : «أيها الناس ! أنا جندب بن سكن الغفاري ، عطوف عليكم ، هلمّوا إليّ ، فاجتمعوا حوله ، فقال : إذا أراد أحدكم الرحيل ، لا بّد وأن يحمل معه من الزاد ما يكفيه ، فكيف به إذا أراد السفر إلى الآخرة ، فليحمل معه أيضاً ، فقام إليه رجل ، وقال : أرشدني يا أبا ذر ، فقال أبو ذر : حجّ حجّة لعظائم الأمور ، وصم يوماً لزجرة التنّور ، وصلّ ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور»[1] .

---

(١) بحار الأنوار ٩٦/٢٥٨ .

والحسن بن علي المجتبى (عليه السلام)، حين حضرته المنيّة واستعد للرحيل، وعظ جنادة بن أبي أُمية، مستهلاً كلامه بقوله: «استعدّ لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك»[1].

وروي أنّ أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كان إذ أذهب الناس إلى مضاجعهم ينادي بأعلى صوته، بحيث يسمعه جيرة المسجد، فيقول: «تجهزوا، رحكم الله، فقد نودي فيكم بالرحيل»[2]. يريد بذلك: أنكم خذوا ما يغنيكم هناك من الأعمال الصالحة الخيّرة، فإنّ أمامكم عقبات كؤود، وسبلا وعرة، ومنازل مهولة، ومعابر مخوفة، ومجاهل مظلمة.

وها نحن نشير إلى بعض تلك العقبات، والأهوال الشديدة، والمنازل الموحشة، كما نشير في فصول إلى بعض ما يصلح لتلك الصعاب بإيجاز واختصار، إذ لا يوجد في زماننا هذا من يرغب في مثل هذه المواعظ والمطالب، ولذلك فقد اكتفينا بهذا الوجيز، فإن وفّقنا نكتب في المستقبل باسهاب وتفصيل، ونسأل الله العون والتوفيق، إنه قريب مجيب.

---

(١) نفسه ٤/١٣٩.

(٢) نهج البلاغة

فصل

الموت ، أول منازل السفر إلى الآخرة :

ولهذا المنزل عقبات كؤود ومراحل صعبة ، نشير إلى عقبتين من هذه العقبات .

العقبة الأُولى : سكرات الموت وصعوبة انتزاع الروح من البدن : ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنتَ منه تَحِيد**﴾[1] . وهي عقبة صعبة جداً حيث تحمل الشدائد على المحتضر من جميع الجهات ، فشدة آلام المرض ، واحتباس اللّسان ، وزوال القوى من الجسد من جهة ، وبكاء الأهل وتوديعهم ، وهموم يتم الأطفال ، من جهة ، والانفصال من الأموال والضياع والذخائر والنفائس التي قضى عليها العمر ، واتّبع لاستحصالها شتى السبل ، وربما اختلط بكثير من أموال الناس ظلماً واغتصاباً ، ولم يدفع من حقوق الله والشرع ما توجَّب عليه ، وانتبه لكل هذا بعد أن قضى أجله وانقضى أمده وانقطع كل سبيل ورجاء ، فكان كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «يَتَذَكَّرُ أموالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطِالِبِها ، وأَخَذَهـا من مُصَرَّحاتِها وَمُشتَبَهاتِها ، قد

(١) سورة ق : الآية ؛ ١٩ .

لَزِمَته تَبِعَاتُ جمعِها ، وَأَشْرَفَ علىٰ فِراقِها ، تَبقَى لِمَن وَراءَه ، يَنعُمُونَ بِها ، فَيكُون المَهْنأ لغيره ، والعبءُ على ظهره»[1] .

ومن جهة أُخرى أهوال الدخول إلى نشأة غير نشأته هذه ، وَرُؤْيةِ ما لم تَرَ عَينُهُ قبل هذا : ﴿**فكشفنا عنك غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليوم حديد**﴾[2] ، فيرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) وملائكة الرحمة والغضب قد حضروا ليجرى الحكم فيه ، والتوصية له ، وإلى جانب هؤلاء ، اجتمع إبليس وأعوانه حوله ليشككوه ، ويمنعوه عن الإيمان ، وقد خيّم عليه هول حضور ملك الموت ، وهيئته ، وكيفية نزع الروح من جسده ، إلى غير ذلك ، حيث قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «فاجتمعت عليه سكرات الموت ، فغير موصوف ما نزل به»[3] .

روى الكليني عن الصادق (عليه السلام) أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) أصيب بداء في عينه ، فزاره النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) فرآه يصرخ ويصيح ، فسأله النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) : هل أن صراخك نتيجة الألم الشديد ، أم جزعاً وهلعاً ؟ فقال علي (عليه السلام) ما أشدّ الألم إذ لم أجد مثله قبله . فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إذا حضر ملك الموت ليقبض روح الكافر ، أتى بقضيب من نار ، فنزع روحه بذلك ، فيصرخ جهنم على شدة وجعه وألمه» ! فلما سمعه علي (عليه السلام) قام وقعد وقال : أعد الحديث يا رسول الله ، فقد أنساني الوَجَعَ ، ثم سأله : هل تنتزعُ روحُ أحد من أمتك على نحو ما وَصَفتَ ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «نعم : حاكم جائر ، وآكل مال اليتيم ظلماً وعدواناً ، وشاهد زور»[4] .

---

(١) نهج البلاغة .

(٢) سورة ق : الآية ؛ ٢٢ .

(٣) نهج البلاغة .

(٤) بحار الأنوار ٦/ ١٧٠ .

ومما يسهل سكرات الموت وييسّرها :

روى الصدوق عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : «من أراد أن يسهل الله عليه ذلك ، سهلت صعاب الموت ، وما افتقر في حياته قط»(١) .

وروي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) حضر وفاة شاب ، فلقّنه شهادة «لا إله إلاّ الله» فاحتبس لسانه ، وكلّما لقّنه ، لم يقو على ذلك . فسأل النبي امرأة ، كانت جالسة على رأس الفتى ، عن أمّه ، فقالت أنها هي أمّه ، فسألها : أأنت ساخطة عليه ؟ قالت : نعم ، وما كلّمته منذ ست سنوات .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : إرضي عنه ، قالت : رضي الله عنه برضاك يا رسول الله ، ولما صرّحت برضائها عن ابنها ، انطلق لسان الفتى ، فلقّنه رسول الله ، فجرى على لسانه الكلام ، وقال : «لا إله إلاّ الله» .

فسأله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ماذا ترى ؟ قال : أرى رجلاً أسود ، قبيح المنظر ، عفنا ، بثياب قذرة ، ورائحة كريهة ، أقبل عليّ ، يضغط على حلقي ومجرىٰ تنفسي ، فأمره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقول : «يا من يقبل اليسير ، ويعفو عن الكثير ، أقبل منّي اليسير ، واعف عني الكثير ، انك أنت الغفور الرحيم»(٢) .

ففعل الفتى ما أرشده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك . فقال له النبي : ماذا ترى ؟ قال الفتىٰ : أرى رجلاً ناصع الوجه ، صبيحاً ، عطراً ، بثياب نظيفة قد أقبل عليّ ، فأدبر الأسود ، واستعد للرّواح .

---

(١) نفسه ٧٤/٦٦ ح ٣٣ وسفينة البحار ٥٥٣/٣ .

(٢) وهو دعاء شهر رجب المرجب الموجود في مفاتيح الجنان للمؤلف نفسه ، وفي كتب الأدعية والزيارات .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : أعد ما قلت فأعاد الفتىٰ ما قاله ، ثم سأله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ماذا ترىٰ ؟ قال الفتى : لقد ولىّ الأسود فلا أثر له ، وبقي الأبيض إلى جانبي . وفي هذه الحال توفّي الفتىٰ[1] .

يقول المؤلف : تأمّل في الحديث لترىٰ أثر عقوق الوالدين ، فقد كان الفتى من أصحاب الرسول ، زاره رسول الرحمة (صلوات الله عليه وآله وسلم) ، وجلس على رأسه إلى جانب مضجعه ومضطجعه ، يلقنه الشهادة فلم يقدر عليه ، إلاَّ بعد أن رضيت منه أُمه ، فَحُلَّت العقدة ، وجرت الشهادة على لسانه بعد انفتاح الحبسة .

وعن الصادق (عليه السلام) : «من كسا أخاه كسوة صيفاً أو شتاءً ، حقّ على الله أن يكسوه من كسوة الجنة ، ويسهل عليه سكرات الموت ، ويوّسع جَدَثَه»[2] .

وعن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من أطعم أخاه حلاوة ، أزال الله عنه مرارة الموت . وممّا يفيد المحتضر ويبعث على راحته ، قراءة سورة يس والصافات ، ودعاء الفرج[3] ، وقت احتضاره[4] .

وروى الصدوق عن الصادق (عليه السلام) : «من صام آخر يوم من أيام شهر رجب ، جعله الله في أمان من شدّة سكرات الموت ، والهول بعد الموت وعذاب القبر»[5] .

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ١/٩٢ باب ٢٩ الحديث رقم ١ .
(٢) بحار الأنوار ٧٤/٣٨٠ .
(٣) دعاء الفرج هو : «لا إله إلاَّ الله الحليم الكريم ، لا إله إلاَّ الله العليم العظيم سبحان الله رب السماوات السبع ، ورب الأرضين السبع ، وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين» .
(٤) بحار الأنوار ٨١/٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
(٥) بحار الأنوار ٩٧/٣٣ .

ولمن صام أربعة وعشرين يوماً من شهر رجب ثواب كثير ، من ذلك أنه يأتيه ملك الموت على صورة شابّ ، لبس ثوباً فاخراً ، بيده قدح من شراب الجنة ، ليقبض روحه ، فيسقيه ذلك الشراب فيهوّن عليه سكرات الموت .

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه : «من صلى ليلة السابع من رجب أربع ركعات ، يقرأ سورة الفاتحة (الحمد) في كل ركعة مرّة ، وسورة التوحيد ثلاث مرّات وسورة الفلق وسورة الناس ، وبعد الختام يصلّي على محمد وآله عشر مرّات ، والتسبيحات الأربعة عشر مرّات ، جعله الله تحت ظل عرشه ، ومنحه ثواب الصائم في رمضان ، واستغفر له الملائكة حتى ينتهي من صلاته ، ويسهلّ عليه نزع الروح من الجسد ، وضغوط القبر ، ولا يموت إلاَّ بعد مشاهدة الجنة ، ويجعله الله في أمان من الفزع الأكبر» .

روى الكفعمي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه : «من قرأ هذا الدعاء كل يوم عشر مرّات ، غفر الله له أربعة الآف معصية كبيرة ونجّاه من سكرات الموت وضغوط القبر ومائة ألف هول من أهوال القيامة وحفظه من شرّ الشيطان وجنوده ، وقضىٰ دينه ، وزالت همومه وغمومه» ، وهذا هو الدعاء :

«أعددت لكل هول لا إله إلاَّ الله ، ولكل همّ وغم ما شاء الله ، ولكل نعمة الحمد لله ، ولكل رخاء الشكر لله ، ولكل أعجوبة سبحان الله ، ولكل ذنب أستغفر الله ، ولكل معصية إنا لله وإنا إليه راجعون . ولكل ضيق حسبي الله ، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ، ولكل عدوّ اعتصمت بالله ، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله العلي العظيم»[1] .

وهذا ذكر آخر شريف له سبعون فضيلة عظمىٰ ، منها أنه يبشَّر

(١) سفينة البحار ٢/٣٩٧ تحت لفظة القبر .

ذاكره عند الممات ، وهو «يا أسمع السامعين ، ويا أبصر الناظرين ، ويا أسرع الحاسبين ، ويا أحكم الحاكمين» .

روى الكليني عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : «لا تملّوا من قراءة سورة ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها . . .﴾ ، فمن قرأها في نوافله ، أبعد الله عنه الزلزال ، ولا يموت على أثر الزلزال والصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا ، ويهبط إليه ملك كريم ، يجلس عند رأسه ، ويقول لملك الموت : ارفق به فانّه وليّ الله كان يذكرني كثيراً»[1] .

العقبة الثانية : العديلة عند الموت :

وتعني العدول عن الحق إلى الباطل حين الممات ، وذلك بحضور الشيطان عند المحتضر وتشكيكه بوساوسه ، ليخرجه عن الدين ولذلك فهناك أدعية للإستعاذة منه ، قال فخر المحققين (رحمه الله) : من أراد الأمان منه ، فليستحضر دلائل الإيمان والأصول الخمسة بأدّلة قطعيّة وصفاء الخاطر ، ويسلّم كل ذلك إلى الله (تعالى) ليردّه إليه إذا حضره الموت ، ويقول بعد ذكره للعقائد الحقّة : «اللهم يا أرحم الراحمين ، اني قد أودعتك يقيني هذا ، وثبات ديني ، وأنت خير مستودع ، وقد أمرتنا بحفظ الودائع ، فردّه عليّ وقت حضور موتي» .

فقراءة دعاء العديلة المعروفة ـ على ما قاله ـ واستحضاره معناه يفيد الأمان من خطر العديلة عند الموت[2] .

روى الطوسي (رحمه الله) عن الديلمي (محمد بن سلمان) : قلت للصادق (عليه السلام) ما يقوله الشيعة أنّ الإيمان على قسمين : ثابت ومستقر ، ومؤتمن زائل ، فعلّمني دعاء أقرأه يكمل به إيماني ولا يزول . فعلّمه الصادق (عليه السلام) أن يقول بعد كل فريضة صلاة[3] :

---

(١) بحار الأنوار ٩٢/٣٣١ وفي مجمع البيان في تفسير سورة الزلزال مع اختلاف بسيط .
(٢ و٣) ذكرهما المؤلف بعد دعاء العديلة في مفاتيح الجنان أيضاً .

«رضيت بـالله ربّاً ، وبمحمـد (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) نبيـاً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن كتابـاً ، وبالكعبـة قبلة ، وبعليّ (عليه السـلام) ولياً وإماماً وبالحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمـد بن عليّ ، وجعفـر بن محمد ، ومـوسىٰ بن جعفر ، وعلي بن مـوسىٰ ، ومحمـد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي والحجة بن الحسن (صلوات الله عليهم) أئمة ، اللهم اني رضيت بهم أئمة فـارضني لهم ، انك على كل شيء قدير» .

ثم المواظبة على أوقـات الصلوات الفرائض فمـا يفيد هـذه العقبة أيضـاً ، جاء في حـديث أنّ ملك الموت ينـظر إلى جميـع النـاس خمس مرات كل يوم أوقات الصـلاة ، فيلقنّ من كان يؤدي صـلاته في وقتهـا ، الشهادة ، ويكفيه شرّ إبليس اللعين[1] .

وروي أنـه كتب الإمـام الصـادق (عليـه السـلام) إلى أحـد : «إذا أردت أن يختم عملك بخير ، فتقبض روحك وأنت في أفضل الأعمال ، فعـظم حقوق الله بـأن لا تصرف نعمـه في معاصيـه ، ولا يغرّنـك حلمـه عليك ، وأكرم من ذكـرنا أو ادّعىٰ حبّنـا ومودّتنـا سواء صـدق في قولـه أو كذب ، فينفعك قصدك ، ويضرّه كِذبُهُ»[2] .

يقول المؤلف : من يقرأ الدعاء الحادي عشر من الصحيفـة الكاملة يحـوّله من بؤس إلى نعمـة ، ومن شقاء إلى سعـادة ويجعل عـاقبته على خير ، وهو : «يا من ذكره شرف للذاكرين» إلى آخر الدعاء .

كما ينتفع بقـراءة دعاء التمجيـد المذكـور في كتاب الكـافي وغيره وجئت به في كتاب الباقيات الصـالحات بعـد أدعية السـاعات ، وكـذلك الصلاة الواردة في كل يوم الأحد من شهر ذي القعدة ، ثم المداومة بهذا الذكر الشريف : ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعـد إذ هديتنـا وهب لنا من لـدنك**

(١) سفينة البحار ٢/٥٤٩ تحت لفظه ملك .
(٢) بحار الأنوار ٧٤/٣٠٣ .

رحمة إنّك أنت الوهاب﴾[1] . وكذلك المداومة بذكر تسبيح الزهراء (عليها السلام) ولبس خاتم العقيق ، وخاصة إذا نقش عليه «محمد رسول الله ، علّي ولي الله» ، وقراءة سورة ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[2] في كل يوم الجمعة ، وقراءة «بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم» كل يوم بعد صلاتي الصبح والمغرب ، وأن يصلّي ليلة الثانية والعشرين من شهر رجب ثماني ركعات ، في كل ركعة سورة الحمد مرة واحدة ، و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ سبع مرّات ، أن يصلّي على محمد وآله بعد هذه الصلاة ، عشر مرّات ، ويستغفر عشر مرّات .

وروى السيد ابن طاووس عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنه مَن صلّى ليلة السادس من شعبان أربع ركعات ، في كل ركعة سورة الحمد مرة واحدة ، وسورة التوحيد خمسين مرّة قبض الله روحه سعيداً ، وفسح الله قبره ، وخرج من قبره ووجهه كالقمر ، وهو يقول : «أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله»[3] .

قال المؤلف : وهذه الصلاة هي بعينها صلاة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ذات فضيلة كبيرة ، واذكر حكايتين تناسبان هذا الموضع والمقال :

الحكاية الاولى :

قيل أنّ فضيل بن عياض ، أحد شيوخ الطريقة ، زار أعلم تلامذته ، وهو محتضر على فراش الموت ، فجلس على رأسه إلى جانب مضجعه ، وجعل يقرأ سورة (يس) من القرآن الكريم .

قال التلميذ : لا تقرأ هذه السورة يا أستاذ ! فسكت فضيل ، ولقّنه شهادة أن «لا إله إلّا الله» .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ؛ ٨ .

(٢) سورة ٢٣ من القرآن الكريم .

(٣) اقبال الأعمال / ٦٩٠ .

قال التلميذ : لا أقول لأني (والعياذ بالله) بريء من ذلك ، ومات على هذه الحال .

فاغتمّ فضيل ممّا حدث ، وذهب إلى بيته ، ولم يخرج منه ، فرأى تلميذه في المنام يساق إلى جهنم ، فسأل تلميذه : عهدي بك أعلم تلامذتي ، فكيف جرّدك الله من المعرفة ، وجعل عاقبتك على شرّ وسوء ، وما سبب ذلك ؟ .

قال التلميذ : لخصال سيئة ثلاثة : الحسد ، والنميمة وشرب النبيذ مرّة كل سنة أوصاني بشربه الطبيب دواء لداء في بدني ، وهذه الثلاثة جرّتني إلى هذه العاقبة السيئة ، والموت على هذه الحالة .

وتكملة لهذه الحكاية رأى المؤلف أن يذكر خبراً ، وهو أن الكليني روى عن أبي بصير أنه قال : دخلت أُمّ خالد المعبديّة على الصادق (عليه السلام) ، وكنت في محضره ، فقالت : روحي فداك ، ينتابني نفخ وقرقره في بطني ، ولقد أوصاني أطباء العراق شرب النبيذ مع القاووت ، فامتنعت عنه ، لعلمي بكرهكم له ، ووددت أن أسألكم عن ذلك .

فسألها الصادق (عليه السلام) عمّا منعها عن شرب النبيذ ، فقالت : لقد قلّدت طاعتك في أمر ديني ، لأقول يوم القيامة بهذا أمرني ، وعن ذلك نهاني جعفر بن محمد (عليه السلام) فنظر الإمام إلى أبي بصير وقال (عليه السلام) : أما تستمع إلى ما تقوله هذه المرأة ، وإلى مسائلها ؟ ثم قال لها : لا والله ، ما آذن لك في قطرة منه ، فقد تندمين من شربه عندما بلغت الروح الحلقوم ، وأعاد قوله ثلاثاً ، ثم قال لها : هل فهمت مقالي ؟ ![1] .

الحكاية الثانية :

ذكر الشيخ البهائي (عطّر الله مرقده) في كتابه الكشكول ، أن أحد

(١) وسائل الشيعة ١٧ / ٢٧٥ بتصرف .

أرباب النعم ، عندما وافته المنيّة ، واحتضر ، لقّنوه الشهادتين ، فقرأ هذا البيت عوضاً عن الشهادتين :

يا ربَّ قائلة يوماً ، وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب ؟

ومردّ هذا البيت من الشعر هو أن سيّدة نجيبة عفيفة ، مليحة جميلة ، خرجت من خدرها وبيتها تريد حماماً يعرف بحمّام منجاب ، فأضاعت الطريق إلى الحمّام ، وتعبت ، فسألت رجلاً كان قد وقف على باب بيته عن الحمام ، فأشار الرجل إلى بيته ، فصدّقته ، ودخلت البيت ، واغلق عليها الباب وأراد التطاول عليها والزّنا بها ، فأدركت المرأة سوء نيّته ، وأنها وقعت في فخّه ، ولا بدّ لخلاصها من تدبير ، وتظاهرت برغبتها واستعدادها لذلك ، وطلبت منه أن يحضر شيئاً من العطر والغاليه ، كي تتعطّر له ، وطعاماً يأكلان معاً ، وأكدّت له الإسراع في الأمر ، للقيام بما يهوى .

واطمأن الرجل لكلامها ، وتركها في بيته ، وأسرع لاحضار ما طلبته ، وخرجت السيدة من بيته هاربة من كيده وسوء نواياه ، وعاد الرجل وتحسّر لما جرى وحدث واغتمّ لخسرانه ، وتذكر القصة ، وقرأ البيت بدلاً عن الشهادتين[1] .

تأمّل أيّها الأخ الكريم في هذه الحكاية لتدرك مغزى «الأعمال بالنيّات» وكيف أنّ عزم الرجل على المعصية ، منعه عن الاقرار بالشهادتين حين الممات ، مع أنّه لم يوفقّ إلى ارتكاب المعصية ، سوى أنه أدخل المرأة إلى بيته بقصد الزّنا دون أن يتسنّى له العمل نفسه ، ومن هذه الأحداث والوقائع قصص وحكايات كثيرة .

وروى الكليني عن الصادق (عليه السلام) «من منع قيراطاً من الزكاة ، فليمت إن شاء يهوديّاً ، أو نصرانيّاً»[2] .

(١) الكشكول (في مجلدين) ١ / ٢٣٢ .
(٢) الكافي ٣/٥٠٧ باب منع الزكاة الحديث ١٣ .

وبنفس المضمون في حق من استطاع السفر إلى الحجّ ، وامتنع عن ذلك إلى أن مات[1] .

لطيفة :

قيل أن أحد العارفين حضر محتضراً ، فطلب الحاضرون أن يلقّن العارف المحتضر ، فلقّنه برباعيّة مضمونها :

إلهي، إن ارتكبت معاصي الدنيا كلها، فرجائي أن تأخذ بيدي لطفاً منك ، وقد وعدتني بعونك عند العجز ، فأنا الآن في أعجز أوقاتي وأحوالي .

---

(١) الكافي ٤/٢٦٨ باب من سوّف الحج وهو مستطيع ، ح ١ و ٥ .



فصل

القبر من المنازل المهولة الموحشة لسفر الآخرة ، وهو الذي يقول كلّ يوم : «أنا بيت الغربة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدّود»[1] ولهذا المنزل عقبات صعبة جدّاً ، وأماكن موحشة مهولة ، نشير إلى بعض تلك العقبات :

العقبة الاولى ، وحشة القبر :

جاء في كتاب (من لا يحضره الفقيه) أنّ للقبر أهوالاً عظيمة ، فإذا أخذ الميّت إلى حفرته ، فلا يدخلنّه في حفرته فجأة ، وليلتجىء إلى الله من هول المطلّع ، ثم يَضَع المَيِّتَ قرب الحفرة ، وينتظر قليلاً حتى يستعدّ الميّت للدخول ، ثم يُدنيه قليلاً من حفرته ، ويتريّث ، فيدخله القبر[2] .

وشرح المجلسي الأول هذا بأنّ الروح فارقت الجسد ، والروح الحيوانية قد ماتت ، أما النفس الناطقة حيّة لمّا تقطع تعلقها بالجسد ، فهناك خوف ضغطة القبر وسؤال منكر ونكير وروماان فتّان القبور وعذاب

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢١٨ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ١/١٧٠ .

البرزخ ، ولكي يعتبر الباقون ، ويتفكـرّوا فيما ينتـظرهم وما يـلاقونـه في المستقبل .

وفي حديث حسن عن يونس ، أنه سمع مـوسى بن جعفر الكـاظم (عليـه السلام) يقـول : «تَضِيقُ عَلَيَّ البيوتُ بسعتهـا إذا تذكـرت ما روي وهـو : «لو أخـذتم الميّت إلى قبره فـامهلوه ساعـة لكي يستعد إلى سؤال منكر ونكير» .

وعن براء بن عازب ، من مشاهير أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : كنا في محضر الرسول ، إذ وقع بصره على جماعة اجتمعوا في مكان ، فسأل : ما بال الجمع وقد تجمعّوا ؟ قيل : اجتمعوا يحفرون قبراً . فلمّـا سمع بـالقبر ، أسـرع نحوه ، حتى وصله ، وجلس على ركبتيـه إلى جانب القبـر ، فذهبت إلى الجهـة المقابلة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لأرى ما يفعله ، فرأيته بكىٰ حتى ابتلّت التربة من دموعه ، ثم نظر إلينا ، وقال : «اخواني ، لمثل هذا فأعدّوا»[2] أي أعدّوا العـدّة ، واستعـدوا للرحيـل إلى مثـل هـــذه الحفـرة ، وإلى مثـــل هــذا المصير .

ذكر الشيخ بهاء الدين العاملي أنه شوهد بعض الحكماء عند مـوته يتحسّـر ، فسألـوه عن سبب ذلك فقـال : ما ظنكم بمن يـرحل إلى سفـر بعيـد ولا يحمـل زاداً ، ويقيم في حفـــرة مـوحشـــة بـلا مؤنس وأنيس ، ويدخل على حاكم عادل صفر اليدين بلا حجة ورصيد .

روى القـطب الراونـدي أنّ عيسى (عليه السـلام) نادىٰ أُمـه مـريم (عليهـا السلام) بعـد موتهـا : قائـلاً : كلميني يا أمّـاه ، هل تـرغبين في العودة إلى دار الدنيا ؟ قالت : بلى ، لأقيم الصـلاة لله في ليل قـارس ، وأصوم في نهار قايض ، أي بنيّ ، انّ هذا الطريق مخوف هائل .

---

(١) شرح من لا يحضره الفقيه ١ / ٤٥٠ .

(٢) مستدرك الوسائل ١ / ١٤٦ باب ٧٢ حديث ١٥ .

وروي أن الزهراء البتول فاطمة (عليها السلام) قالت ، فيما أوصت لأمير المؤمنين (عليه السلام) : «إذا متّ فاغسلني ، وجهزّني ، وصلّ عليّ ، وادخلني القبر وضع عليّ اللّحد وادفنّي في التراب ، واجلس على رأسي وجهاً لوجهي ، واتل كتاب الله ، واقرأ الأدعية كثيراً ، فانّها ساعة يحتاج فيها الميّت إلى مؤانسة الأحياء»[1] .

وروى السيد بن طاووس (رحمه الله تعالى) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «لا تمرّ على الميت ساعة أشدّ من ليلة القبر الأولى ، فترحموا على موتاكم بالصدقة ، ومن لم يجد منكم ما يتصدق به ، فليصلّ أحدكم ركعتين ، يقرأ في الركعة الأولى سورة الفاتحة ، وبعدها سورة التوحيد مرتين ، ويقرأ في الركعة الثانية سورة الفاتحة ، وبعدها ألهيكم التكاثر عشر مرّات ، ثم يسلّم ويقول : «اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، وابعث ثوابها إلى قبر ذلك الميت فلان بن فلان» فيبعث الله (تعالى) في الساعة ذاتها ألف ملك إلى قبر ذلك الميت ، مع كل ملك حلّة ، ويوسّع عليه قبره إلى يوم ينفخ في الصور ، ويعطي للمصلي أيضاً حسنات بعدد ما تطلع عليه الشمس ، ويرفع له أربعون درجة»[2] .

وصلاة أخرى لرفع وحشة الليلة الأولى ودفعها ، ركعتان يقرأ في الركعة الأولىٰ سورة الحمد وآية الكرسي ، وفي الركعة الثانية سورة الحمد وعشر مرّات سورة القدر ، ثم يسلّم ويقول : «اللهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد ، وابعث ثوابها إلى قبر فلان بن فلان» . ذاكراً اسم الميت بدل فلان بن فلان[3] .

روى شيخنا ، ثقة الإسلام النوري (نوّر الله مرقده) في كتابه (دار السلام) عن شيخه معدن الفضائل والمعالي ، مولانا الحاج ملا فتحعلي

---

(١) مستدرك الوسائل ١/١٤٨ باب ٧٩ ، حديث ٧ .
(٢) سفينة البحار للشيخ عباس القمي ٢/٤٧ مادة صلا .
(٣) أصول الكافي ٣/٢٨٥ .

السلطان آبادي (عطّر الله مضجعه) أنّه قال : من عادتي أن أصلّي ركعتين على كـلّ ميت محبّ لآل بيت النبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) ليلة وفـاته ، أعـرفه أولا أعـرفه ، ولـم يكن أحـد على علم بـذلـك ، إلى أن صـادفني أحـد اصـدقـائي في الـطريق وقـال : رأيت في منـامي ، ليلة البارحة ، فلاناً المتـوفي في هذه الأيـام ، فسألتـه عن حالـه ، وما جـرى عليـه بعد مـوته ، فقـال : لقـد كنت في شـدّة وبـلاء ، أتحمّـل العقـاب وأقـاسي العذاب ، فـإذا بركعتين صـلاّهمـا لي فـلان ، ذاكـراً اسمـك ، وهـاتان الـركعتان كـانتا سبب نجـاتي من العذاب ، فـرحم الله أبـاه على تفضلّه عليّ واحسـانه إليّ . قـال الحاج مـلاّ فتحعلي : فسألني صـديقي عن تلك الصـلاة ، وما هي ؟ فـأخبرتـه بعادتي الجـارية من أجـل مـوتى المؤمنين والمؤمنات من أحبّة آل البيت[1] .

وممّا ينفع لوحشة القبر اكمال الركوع واتمـامه ، فعن البـاقر (عليـه السلام) أنه : «من أكمل الركوع لا يدخل إلى قبره وحشة»[2] .

وأن يقـول في كـل يـوم مـائـة مـرّة : «لا إلـه إلاّ الله الملك الحقّ المبين» فيكون له أمان ، من الفقر ووحشة القبر ، ويجلب لنفسه الغنىٰ ، وتفتح له أبواب الجنة ، كما جاء في الخبر .

وأن يقـرأ سورة يس قبـل نومـه ، وأن يصلّي الصلاة الخـاصة بليلة الـرغائب ، وقد ذكرتهـا ببعض فضائلهـا في كتاب (مفـاتيح الجنـان) من أعمال شهر رجب .

وروى أنه : «من صام اثني عشـر يومـاً من شهر شعبـان ، زاره في قبـره كلّ يـوم سبعـون ألف ملك إلى يـوم ينفـخ في الصـور ، ومن ذهب لعيادة مريض ، وكلّ الله ملكاً يزوره في قبره إلى يوم الحشر»[3] .

---

(١) دار السلام للنوري ٢/٣١٥ .

(٢) بحار الأنوار ٦/٢٤٤ .

(٣) بحار الأنوار ٨/٢١٧ .

وعن أبي سعيد الخدري أنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعلي (عليه السلام) : «يا علي أبشر فانّه لا حسرة لشيعتك عند الموت ، ولا وحشة لهم في القبور ، ولا خشية يوم النشور»[1] .

العقبة الثانية : ضغطة القبر :

وهي عقبة صعبة بحيث يضيقّ تصوّرها الدنيا على الإنسان . قال أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) : «يا عباد الله ، ما بعد الموت ، لمن لا يغفر له أشدّ من الموت ، القبر ، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته ، انّ القبر يقول كل يوم ، أنا بيت الغربة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود[2] ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار - إلى أن قال - وأنّ معيشة الضّنك[3] التي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر ، أنه يسلّط على الكافر في قبره تسعةً وتسعين تنيّناً فينهشن لحمه ، ويكسرن عظمه ، يتردّدن عليه كذلك إلى يوم يبعث ، لو أنّ تنيّناً منها نفخ في الأرض لم ينبت زرعاً ، يا عباد الله ، إن أنفسكم الضعيفة ، وأجسادكم الناعمة الرّفيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا»[4] .

وروي أن الصادق (عليه السلام) كان إذا نهض آخر الليل ، يرفع صوته بحيث يسمع أهل بيته ، ويقول : «اللهم أعنّي على هول المطلع ، ووسّع عليّ ضيق المضجع ، وارزقني خير ما قبل الموت ، وارزقني خير ما بعد الموت»[5] .

ومن أدعيته (عليه السلام) : «اللهم بارك لي في الموت ، اللّهم

---

(١) بحار الأنوار ٧/١٦٨ .

(٢) في بحار الأنوار (والهوامّ) .

(٣) في بحار الأنوار (المعيشة الضّنك) .

(٤) بحار الأنوار ٦/٢١٨ .

(٥) أصول الكافي ٤/٣٢٧ ، ح ١٣ .

أعنّي على سكرات الموت ، اللهم أعنّي على غمّ القبر ، اللّهم أعنّي على ضيق القبر ، اللهم أعني على ظلمة القبر ، اللهم أعنّي على وحشة القبر ، اللهم زوّجني من الحور العين» .

إعلم أنّ أكثر عذاب القبر من عدم الاحتراز من البول ، والاستخفاف به ، أي عدم المبالاة به ، ومن النميمة ، والغيبة ، ونأي الرجل عن أهله[1] ، ويستفاد مما رواه سعيد بن معاذ أن سوء خلق الرجل مع أهله ، وخشونته في التحدّث مع أهله يستوجب ضغطة القبر[2] .

وفي رواية عن الصادق (عليه السلام) أنه : «لا ينجو أحد من المؤمنين من ضغطة القبر»[3] ، وفي رواية أخرى : «أنّ ضغطة القبر كفارة عمّا (عن نعمة) ضيّعها المؤمن»[4] .

وروى الصدوق (رحمة الله عليه) عن الصادق (عليه السلام) «أنّ رجلاً من الأحبار[5] وضع في قبره ، فقالوا له : تضرب مائة سوط من عذاب الله . قال : لا طاقة لي بها . فخففوا ذلك وخفضوا عدد السياط إلى أن بلغوا سوطاً واحداً ، قالوا لا مفرّ منه ولا مهرب من ذلك . فقال : بأيّ سبب أضرب ؟ قالوا : لأنك صلّيت يوماً بلا وضوء ، ومررت بضعيف وما أعنته . ثم ضربوه سوطاً من سياط عذاب الله ، فامتلأ قبره بالنار»[6] .

وروي عنه أيضاً : «أن كلّ مؤمن لا يقضي حاجة أخيه المؤمن ،

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٢٢ .

(٢) نفسه ٦/٢١٧ و٢٢٠ .

(٣) نفسه ٦/٢٢١ وسفينة البحار ٢/٧٤ .

(٤) نفسه ٦/٢٢١ ، ح ٩ .

(٥) الأحبار جمع الحبر بمعنى عالم اليهود ، ويحتمل أنها الأخبار بالخاء والياء في أصلها ، بدل الأحبار (المؤلف) .

(٦) بحار الأنوار ٦/٢٢١ .

وهو قادر على قضاء حاجته ، سلّط الله عليه في قبره ثعباناً عظيماً يعرف بالشجاع يعض أصابعه دائماً» ، وفي رواية أُخرى : «يعض اصابعه إلى يوم القيامة ، سواء غفر له أم كان من المعذبين»[1] .

العوامل التي تنقذ الموتى من ضغطة القبر :

المنجيات من ضغطة القبر وعذابه كثيرة ، نكتفي بذكر بعضها هنا :

١ ـ عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) أنه : «من قرأ سورة النساء من القرآن في كل يوم جمعة أمن من ضغطة القبر»[2] .

٢ ـ وروي أنّه : «من داوم قراءة سورة الزّخرف ، آمنه الله (تعالى) في قبره من حشرات الأرض والحيوانات ، وضغطة القبر»[3] .

٣ ـ روي أنه : «من قرأ سورة ﴿ن والقلم﴾ في فريضة الصلاة أو النافلة ، آمنه الله من ضغط القبر»[4] .

٤ ـ عن الإمام الصادق (عليه السلام) : «من مات بين زوالي الخميس الجمعة ، آمنه الله من ضغطة القبر»[5] .

٥ ـ عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال : «عليكم بصلاة الليل ، فما من عبد مؤمن قام آخر الليل فصلّى ثماني ركعات صلاة الليل ، وركعتين صلاة الشّفع ، وركعة صلاة الوتر ، واستغفر في قنوت الوتر سبعين مرّة ، إلاّ وآمنه الله من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، وطال عمره ، وتوسعت معيشته»[6] .

---

(١) نفسه ٧٤/ ٣٣٠ .
(٢ و٣) سفينة البحار ٢/ ٣٩٧ .
(٤) سفينة البحار ٢/ ٣٩٧ .
(٥) بحار الأنوار ٦/ ٢٢١ و٢٤٣ .
(٦) سفينة البحار ٢/ ٣٩٧ ماده قبر .

٦ ـ عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه : «من قرأ سورة ﴿الهيكم التكاثر﴾ عند النوم ، حفظه الله من عذاب القبر»[١] .

٧ ـ أن يقرأ عشر مرّات كل يوم دعاء : «أعددت لكل هول لا إله إلاّ الله . . .» وهو الدعاء الذي أتينا عليه في عقبة سكرات الموت من هذا الكتاب[٢] .

٨ ـ أنه يدفن في النجف الأشرف لأن من خواص هذه التربة الشريفة أن يسقط عذاب القبر وحساب منكر ونكير عمّن يدفن فيها[٣] .

٩ ـ ممّا ينفع رفع عذاب القبر ، وضع جريدتين ، أي عودتين طريتين مع الميت فقد روي أنه يرفع العذاب عن الميّت ، ما دام العود طرّياً[٤] .

وروي أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّ بقبر كان يعذب صاحبه ، فطلب النبي جريدة نصفها ، وغرز نصفها عند رأس الميت ، ونصفها الثاني عند رجليه .

وممّا ينفع أيضاً رشّ الماء على القبر ، فقد ورد في الأخبار : «أنّ العذاب يرفع عن الميّت ما دامت التربة نديّة»[٥] .

١٠ ـ أن يصلّي المرء ركعتين ، يقرأ في كل ركعة سورة الحمد مرّة وسورة التوحيد ثلاث مرّات ، ليأمن من فتنة القبر وعذاب يوم القيامة ، ويقرأ في الليلة الأولى من شهر رجب ، بعد صلاة المغرب عشرين ركعة ، في كل ركعة سورة الحمد والتوحيد ، فإنه

---

(١) مستدرك الوسائل ٣٤٠/١ باب ١١ .
(٢) سفينة البحار ٣٩٧/٢ ماده قبر .
(٣) نفسه ٥٧٢/٢ ماده نجف .
(٤) بحار الأنوار ٢١٥/٦ .
(٥) بحار الأنوار ٢٣/٨٢ ، ج ١٠ .

تنفع رفع عذاب القبر[1] .

١١ ـ أن يصوم أربعة أيام من شهر رجب[2] ، وكذلك اثني عشر يوماً من شهر شعبان .

١٢ ـ وممّا ينجي المرء من عذاب القبر ، قراءة سورة ﴿تبارك الملك﴾ على رأس الميت ، فقد نقل القطب الراوندي عن ابن عباس أنّ رجلاً كان قد خيّم تجاه قبر ، وهو لا يعلم أنه نازل أمام قبر ، ثم تلا سورة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ فسمع صيحة مزعجة تقول : ان هذه سورة منجيه[3] ، فعرض الموضوع على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :نعم إنها سورة تنجي من عذاب القبر .

وروى الكليني عن الباقر (عليه السلام) أنه قال : «سورة الملك مانعة ، تمنع من عذاب القبر»[4] .

١٣ ـ وجاء في دعوات الراوندي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال : «من قرأ عند ميّت حين دفنه ثلاث مرات : «اللّهم اني أسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تعذب هذا الميت» رفع الله عن ذلك الميت العذاب إلى يوم ينفخ في الصور»[5] .

١٤ ـ روى الشيخ الطوسي (رحمه الله) في مصباح المتهجّد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنه من صلّى كل ليلة جمعة ركعتين ، في كل ركعة سورة الحمد مرّة وسورة ﴿إذا زلزلت﴾ خمس عشرة مرّة ، آمنه الله من عذاب القبر وأهوال يوم القيامة .

---

(١) اقبال الأعمال ٦٢٩ .

(٢) نفسه ٦٥١ .

(٣) مستدرك الوسائل ١ ٣٠١ باب ٣٢ ح ١ .

(٤) بحار الأنوار ٩٢/٣١٤ .

(٥) سفينة البحار ٢/٣٩٦ ماده قبر من مجموعه الشهيد .

١٥ ـ ومما ينفع رفع عذاب القبر ، أن يصلّي ثلاثين ركعة ليلة النصف من رجب ، يقرأ سورة الحمد مرّة في كل ركعة وسورة التوحيد عشر مرّات[١] .

وفي الليلتين السادسة عشرة والثامنة عشرة منه كذلك[٢] .

وفي الليلة الأُولى من شعبان مائة ركعة بحمد وتوحيد في كل ركعة وبعد الفراغ من الصلاة خمسين مرّة سورة التوحيد[٣] .

وفي الليلة الرابعة والعشرين منه يصلّي ركعتين في كل ركعة سورة الحمد مرّة وسورة **﴿إذ جاء نصر الله والفتح﴾** عشر مرّات .

وورد لليوم الخامس عشر من رجب خمسون ركعة بسورة الحمد والتوحيد والفلق والناس مما ينفع رفع عذاب القبر[٤] ، مثل مائة ركعة في ليلة عاشوراء .

العقبة الثالثة : سؤال منكر ونكير في القبر :

عن الصادق (عليه السلام) : «ليس من شيعتنا من أنكر ثلاثاً : المعراج والسؤال في القبر والشفاعة[٥] .

وروي[٦] أنّ الملكين يأتيان في هيئة هائلة ، لهما صوت كالرعد ، وأعين كالبرق ، يسألان : من ربّك ؟ ومن نبيّك ؟ وما دينك ؟ ويسألان عن وليّه وإمامه ، وبما أن الإجابة ، في تلك الحال ، صعبة على الميّت ، وأنّه لا جرم يحتاج إلى مساعدة ، تعيّن التلقين في موضعين : أحدهما حين وضعه في القبر ، ويستحسن أن يؤخذ كتفه الأيمن باليد اليمنى ، وكتفه الأيسر باليد اليسرىٰ ، ويحرّك ويلقّن في حالة الاهتزاز والادخال في القبر ، والثاني بعد وضعه في القبر ودفنه ، يستحبّ أن

(١ و٢ و٣ و٤) اقبال الأعمال ٦٥٦ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٨٣ ، ٦٥٨ .

(٥) بحار الأنوار ٦/٢٢٣ .

(٦) نفسه ٦/٢٦١ .

يجلس أقرب أنسبائه ، وهو وليّ الميت ، على رأس الميّت ، بعد أن تركه الباقون ، وغادروا المكان ، ويلقّن الميت بصوت مرتفع ، ويحسن به أن يضع كفيه على القبر ، ويقّرب فاه من القبر ، أو يفعل ذلك من ينوب عنه ، فلقد ورد أن الملكين حينما سمعا هذا التلقين ، يقول منكر لنكير : دعنا نعود ، فقد لقنّوه تلقين الحجّة ، ولا يحتاج إلى سؤال ، فيتركان السؤال ويعودان[١] .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه ، أنّه لما توفى ذرّ بن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) وقف أبو ذر على قبره ، ومسح قبره بيده ، وقال : رحمك الله ، فوالله كنت لي محسناً ، وأدّيت شرط البنوة ، والآن وقد أخذت مني وانفصلت عني ، فأنا مسرور بذلك ووالله لا ضير عليّ من رواحك ، ولا نقصان بلغني من ذلك ، ومالي إلى أحد سوى الله من حاجة ، ولولا هول المطلّع ، لفرحت أن أكون بديلك ، لكنّي أريد تلافي ما فات منّي ، واستعد لذلك العالم ، ولقد شغلني الحزن لك من الحزن عليك أي أنّي أسعى لأؤدّي من العبادات وأقوم بالطاعات ما ينفعك وهذا ما يمنعني من أن أغتمّ على مفارقتك ، ووالله ما بكيت لوفاتك ومفارقتك ، لكني بكيت لما قد سيكون حالك ، وما يجري عليك ، فليت شعري ما قلت وما قيل لك . إلهي لقد عفوته عن حقوقي التي أوجبت لي عليه ، فاعف عنه حقوقك التي أوجبت لك عليه ، فأنت أجدر مني بالجود والكرم[٢] .

وعن الصادق (عليه السلام) : إذا أدخل المؤمن القبر ، حضر الصلاة إلى يمينه ، والزكاة إلى شماله وأشرف عليه البّر والإحسان ، أما الصبر فيستقر في جانب ، فإذا حضر الملكان ليسألاه ، يخاطب الصبر الصلاة والزكاة والبر : أعينوا صاحبكم ، يعني الميّت ، فإن عجزتم عن

---

(١) روضة المتقين ١/٤٥٨ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ١/١٨٥ .

ذلك ، فأنا مستعد لذلك[1] .

قال العلامة المجلسي (رحمة الله عليه) . في (المحاسن) بإسناد صحيح عن الصادق أو الباقر (عليهما السلام) : «إذا مات المؤمن ، دخل القبر معه ستة أوجه ، كل واحد أجمل وأعطر وأنظف من باقي الوجوه ، فتستقر الوجوه الستة في ستة مواضع على يمينه وشماله وخلفه وقدامه وإلى جانب قدميه وأحلاها وأطيبها إلى جانب رأسه ، فإذا أتاه السؤال أو العذاب من كل جانب منعه وجه من الوجوه الستة ، ويسأل الوجه الأجمل باقي الأوجه : من أنتم ، جزاكم الله مني خيراً ؟ فيقول الوجه المستقر على يمين المؤمن : أنا الصلاة ، ويقول الوجه المستقر على شمال المؤمن : أنا الزكاة ، ويقول المواجه لوجه المؤمن : أنا الصوم ، ويقول المستقر خلف المؤمن : أنا الحج . ويقول المحاذي لقدميه : أنا البّر والإحسان للاخوة المؤمنين . ثم يسأله الجميع عن نفسه ، ومن أنت بجمالك البهيّ الفائق العطر ؟ فيقول : أنا ولاية آل محمد (صلوات عليهم أجمعين)»[2] .

وروى الصدوق في فضيلة صوم شعبان : من صام تسعة أيام منه ، أشفق عليه منكر ونكير عند السؤال .

وعن الباقر (عليه السلام) وردت فضائل كثيرة لمن أحيى ليلة الثالث والعشرين من رمضان ، وصلّى مائة ركعة فيها ، ومنها أن يدفع الله عنه هول منكر ونكير ، وأن يسطع من قبره نور يضيء الجميع .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربع عشرة خصلة في الخضاب : أحدهما استحياء منكر ونكير ممن يخضب[3] .

وقد علمت سقوط حساب منكر ونكير عمن يدفن في تربه النجف

---

(١) مستدرك الوسائل ١/١٨٣ باب ح ٤ مع اختلاف بسيط عما في بحار الأنوار ٦/٢٣٤ .

(٢) بحار الأنوار ٦/١٣٤ .

(٣) نفسه ٧٦/٩٧ ح ٢ .

الطاهرة فإن ذلك من خواصّها ، فنقول :

الحكاية :

نقل العلامة المجلسي في التحفة عن ارشاد القلوب وفرحة الغرى أن صالحاً ، من أهل الكوفة ، قال : كنت في ليلة ماطرة ، بمسجد الكوفة ، فطرق الباب الذي إلى جانب قبر مسلم بن عقيل (عليه السلام) ففتح الباب ، فادخلت جنازة ووضعت في صفة إلى جانب قبر مسلم ، فغشي أحد الجنازين النعاس فرأى في منامه شخصين قد حضرا الجنازة ، فقال أحدهما للآخر : أنظر هل لنا معه حساب لنستوفيه قبل أن يعبر الرصافة ، فلا يصل إليه ، واستفاق من نومه ، وذكر رؤياه لزملائه ، فحملوا الجنازة فوراً ، وأدخلوها النجف[1] ، ولله درّ من قال :

إذا مت فادفنني إلى جنب حيدر ... أبي شبّر أكرم به وشبير
فلست أخاف النار عند جواره ... ولا أتّقي من منكر ونكير
فعار على حامي الحمى وهو في الحمى ... إذا ضلّ في البيدا عقال بعير

الحكاية :

عن الأستاذ الأكبر المحقق البهبهاني (رحمة الله عليه) أنه قال : رأيت الإمام أبا عبد الله الحسين (عليه السلام) في المنام ، فقلت له ، سيّدي ومولاي ، أيُسأل من دفن بجواركم ؟ فقال : «من يجرؤ من الملائكة أن يسأل ذلك الميت» ؟ .

يقول المؤلف أنه من أمثال العرب كلامهم : «أحمى من مجير الجراد» وقصة المثل هي : أن أعرابياً من البادية من قبيلة طيء يدعىٰ مدلج بن سويد ، كان في خيمته فرأى جماعة من طيء قد أقدموا ومعهم جوالق وأوعية ، فسألهم : ما الخبر ؟ فقالوا : قد هبط جراد كثير حول خيمتك ، جئنا نأخذه ، فلما سمع مدلج ركب فرسه ، وأخذ برمحه

---

(١) سفينة البحار ٢/٥٧٢ مادة نجف .

وأقسم بالله لأقتلن من يتعرّض للجراد : أيكـون الجراد في جـواري ، ثم تريدون أخذه ؟ وما زال يحمي الجـراد ، حتى اشتدت حـرارة الشمس ، وطار الجراد من حوله وانتشر ، فقال : الآن ارتحل الجراد من جـواري ، فافعلوا ما شئتم به[١] .

الحكاية :

جاء في كتاب (الحبـل المتين) أن مير معين الـدين أشرف ، أحـد صلحاء خدّام الروضة الرضوية المقدسة بمشهد خراسان ، (على سـاكنها الآف التحيـة والسـلام) قـال أني رأيت في المنـام قـد خـرجت من دار الحفاظ أو غرفة الخفر في الروضة المباركة ، للوضوء ، فلما بلغت صفـة أمير علي شير في الصحن الرضوي الشريف ، شاهدت جماعة كبيرة قـد دخلوا الصحن ، وأمامهم شخص عظيم ، ذو وجـه مشرق منيـر ، يحمل أتباعه ومرافقوه معاول ، ولما انتصفوا الصحن أمرهم السيد الشريف بشق قبر ونبشه ، وقال : أخرجوا هذا الخبيث .

فلمـا شرعـوا في ذلك ، سـألت أحدهم : من هـذا العظيم الـذي يأمركم ؟ قال : هو أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

وفي الحـال رأيت الإمـام الثـامن الـرضـا من آل محمـد (عليهم السلام) قد خرج من الروضة ، وسلّم على أمير المؤمنين (عليه السلام) : فردّ عليه السلام . فقال الرضا (عليه السلام) : يا جدّاه ! أسألك وألتمس إليك أن تعفو عنه وتجاوز عن خطيئته لي .

قال أمير المؤمنين(عليه السلام) : أتعلم أن هذا الفاسق الفاجر كان يشرب الخمر ؟ قال الرضا (عليه السلام) : نعم ، لكنّه أوصى حين مماته أن يدفن بجواري ، فأرجو عفوك عنه .

قـال علي (عليه السـلام) : قد عفـوت عنـه من أجلك . ثم ذهب

---

(١) سفينة البحار ١/١٥١ .

الإمـام علي (عليه السـلام) واستفقت من نومي متـوحشـاً ، وأفقت بعض أصحابي من خدّام العتبة الرضوية المقـدسة ، وجئنـا إلى الموضـع الذي رأيتـه في منامي ، فـوجدتـه قبراً جـديداً ، قـد طرح منـه بعض التراب ، فسألت عن الميت صاحب الجسد المدفـون فيه ، فقيـل لي : انه تـركي دفن هنا يوم أمس[1] .

قال المؤلف : جاء في حكاية تشرف الحاج عليّ البغدادي لخدمة الإمـام صاحب الـزمان (ارواحنـا له الفـداء) ، وأسئلته عن الإمـام ، أنـه قال : سألت الإمام : سيدنا ! أصحيح مـا قالـوا : من زار الحسين (عليه السلام) ليلة الجمعة فله الأمـان ؟ قال : أي والله وجـرى الدمـع من عينه وبكى .

فقلت : مسـألة يـا سيـدي ، قـال : إسـأل ، قلت : زُرت الإمـام الرضا (عليه السلام) سنة ١٢٦٩ ولاقيت أعرابياً من الشروقيـة من الباديـة في الجـانب الشرقي من النجف وضَّيفتُهُ وسألتـه : كيف وجـدت مشهـد الرضا (عليه السلام) ؟ قال : انها جنـة : هذا خـامس عشر يـوم آكل من مائدة مولاي الرضا (عليه السـلام) كيف يجرؤ منكـر ونكير أن يقتـربا من قبـري ، فقد نمـا لحمي ودمي في مضيفه ومن طعـامه ، أصحيـح هذا ؟ أينقذه الإمام الرضا من منكر ونكير ، قال الإمام : نعم والله فإن جدي ضامن له[2] .

---

(١) دار السلام للنوري ١/٢٦٨ .

(٢) لقد أورد المؤلف حكاية الحاج علي البغدادي في كتابه مفاتيح الجنان .



فصـل

البرزخ

ومن المنـازل المهـولـة ، البـرزخ ، حيث ذكـره الله (تعـالى) في القـرآن : ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يـوم القيامـة﴾[1] كما أشـار الصـادق (عليه السلام) في معرض حديث لـه ، إلى البرزخ قـائلاً : « . . . فـوالله أخاف عليكم من البرزخ» فسئل : ما البرزخ ؟ قال : «إنّه القبر مذ لحظة الوفاة إلى يوم القيامة»[2] .

جاء في لب اللّباب للقطب الراوندي أن الموتى يحضـرون في كل ليلة جمعة من شهر رمضان في حالـة البكاء ، فينـادون أهلهم ، أولادهم وأقرباءهم ، أن أرحمونا وتفضّلوا علينـا بخيراتكم وحسنـاتكم ، واذكرونـا رحمكم الله ، فقـد جلسنـا في سجـون ضيّقـة ، بهمـوم كثيـرة ، وغمـوم شديدة ، فلا تبخلوا علينا بدعائكم وصدقاتكم ، قبـل أن يكون مصيـركم مصيرنا ، لعلّ الله يرحمنا .

يـا حسرة علينـا ، فقد كنّـا مثلكم متنعمين وما أنفقنـا في سبيل الله فغدا أموالنا علينا وبـالاً ، وانتفع بـه غيرنـا . إسمعونـا ولا تنسوا الفضـل

---

(١) سورة مريم : الآية ؛ ١٠٣ .

(٢) سفينة البحار ١/ ٧١ .

علينا ، وتفضلوا علينا بدرهم ، أو رغيف ، أو ما تشاؤون ، فها أنتم بنا لاحقون فسوف تبكون ولا تفيدكم دموعكم ، كما نفعل ولا جدوىٰ منها لنا ، فجدّوا وانتهزوا الفرصة قبل فواتها ، وقبل أن تنقلبوا إلى ما نحن فيه[1] .

وفي جامع الأخبار ، ذكر صحابّي عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «ابعثوا بهداياكم إلى موتاكم» فسئل عن هدايا الموتى ، فقال : «الصدقة والدعاء» ، ثم قال : «تأتي أرواح الموتىٰ في كلّ جمعة إلى سماء الدنيا ، أمام البيوت وتنادي بحزن ، مجهشة بالبكاء ، أهلها وأبناءها وأصحابها وتطلب العون والرحمة : ارحمونا ، رحمكم الله ، بما كان لدينا ، فقد انتفع به غيرنا وعلينا حسابها وجوابها . ترّحموا علينا بدرهم أو رغيف أو كساء فيكسوكم ربّكم بكساء الجنة» . ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكاء شديداً منعه عن التكلّم ، وبكينا معه ولبكائه . ثم قال (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «هؤلاء اخوانكم في الدين ، تحولّوا بعد تنعمّهم في الدنيا إلى تراب ، ويصرخون من العذاب ويقولون : لو أنفقنا ممّا كان في أيدينا في رضى الخالق ، لما احتجنا إليكم ، ثم يعودون بالحسرة والندم ، صارخين : ارسلوا بصدقاتكم إلينا مسرعين»[2] .

وفيه أيضاً عن النبي الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «إذا تصدّق أحدكم لميّت ، فإنّ ملكاً يحملها في طبق من نور ، تمتدّ أشعته حتى تبلغ السماوات ، فيقف على حافّة القبر ، وينادي بأعلى صوته ، السلام عليكم يا أهل القبور ، هذه هدّية أهلكم إليكم ، فيتسلّمها الميّت ، ويدخلها قبره ، ويتسع بها مضجعه . ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «اعلموا أنّه من ترحّم على ميّت بصدقة ، فله أجر عند الله مثل جبل أُحد ، وهو يوم القيامة تحت ظلّ

---

(١) نفسه ٢/٥٥٦ .

(٢) جامع الأخبار ١٩٧ .

عــرش الله ، إذ لا ظـلّ ســواه يـومــذاك وينجـو بــالصـدقــة الأمـواتُ والأحياءُ»[١] .

وقيل أنّ أحداً رأى أمير خراسان في المنام يقـول : ابعثوا إليّ بمـا تتصـدقـون على كِـلابِكم وتـطرحـون إليهـا من طعـام ، فـإني إلى ذلـك محتاج[٢] .

قال المجلسي (رحمه الله تعالىٰ) في كتابه (زاد المعاد) : لا تنسـوا الموتىٰ ، فإنّ أياديهم قاصـرة عن فعل الخيـر ، وينتظرون هـدايا أبنـائهم وأقربائهم ، وخيراتهم ، فلا تنسوهم من الدعـاء في صلواتكم وفرائضكم وفي المشاهد المشرفة والعتبـات المقدسـة ولا سيما الـوالدين لحقـوقهما عليكم .

فلربّ ولد عاقه الوالدان في حياتهما ولكنه يحسن باحسانه وخيراتـه لهما ، فيعفوان عنه ،ويرضيان عنه ، ولـربّ ولد رضي عنـه الوالـدان في حيـاتهمـا ، ولكنهمـا عـاقـاه لتقصيـره ، وتسـاهله عن تقـديم الخيــرات والمبرّات لهما ، وأفضل الخيرات للوالـدين هو تـأدية ديـونهما للنـاس ، وتخليص رقابهما من حقوق الناس وحقـوق الله من العبادات البـاقية على عاتقهما مثـل الحجّ وتـأديته بـالنيابـة واستخدام نـائب عن الميّت ، ومثل الصلاة والصوم وتأديتهما بالاستئجار والتبّرع . .[٣] .

وفي حـديث صحيح منقـول أن الإمام الصـادق (عليه السلام) كان يصلّي لابنه في الليل ركعتين ولوالديه في النهار ركعتين ، يقرأ في الركعة الأولى بعد سورة الحمد ﴿**انا أعطيناك الكوثر . .**﴾[٤] .

كما نقل عن الصادق (عليه السلام) بإسناد صحيح أنـه ربّما يكـون

---

(١) جامع الأخبار نفسه .

(٢) سفينة البحار ٢/٥٥٧ .

(٣) بحار الأنوار ٥٩/٧٤ ح ٢١ باختلاف بسيط وفي زاد المعاد ٥٧٣ .

ميّت في ضيق وشدّة ، فيزولان عنه ويتحوّل إلى سعة وسرور ، فيقال له : انّ هذه الحالة حصلت لك بسبب صلاة صلّاها لك أخوك المؤمن . فسأل الراوي : وهل لنا أن نشرك ميّتين في ركعتين ؟ قال : نعم . وقال : انّ الميّت ليسرّ بالدعاء والمغفرة له كما يسرّ الحيّ بالهدّية المهداة إليه[1] .

وقال : يُرَدُّ الصوم والصلاة والصدقة والحج والأدعية والخيرات على الميّت في قبره ، ويُكتَب ثواب جميع الأعمال للميّت ولفاعل الخير معاً .

وفي حديث آخر : إذا عمل مؤمناً مسلماً خيراً لميّت ، فإن الله (تبارك وتعالىٰ) يضاعفه ، وينتفع الميّت بهذا العمل الصالح[2] .

وفي رواية أُخرى : «إذا تصدّق أحد بنِيَّة ميّت (عن ميت) ، فإنّ الله (تعالىٰ) يأمر جبريل أن يفد إلى قبر الميّت بسبعين ألف ملك ، وفي يد كل واحد منهم طبق من نعم الله (تعالىٰ) ، فيقول كل ملك للميّت : السلام عليك يا محبّ الله ، هذه هدية فلان المؤمن إليك ، فيستضيء قبره ، ويمنحه الله (تعالىٰ) في الجنة ألف بلد ، ويزوجّه حوريّة ، ويلبسه ألف حلّة ويقضي له ألف حاجة»[3] .

قال المؤلف : ويجدر بي هنا أن أنقل إلى القرّاء حكايات نافعة عن رؤى صادقة وإيّاك أن تهملها ، وتظنها مضطربة كاذبة أسطورية ممّا تنقل وتروى للصبيّان ، ولكنّك تأمل فيها وانظر إليها بدقة وامعان ، وقد قال الشاعر الفارسي ما مضمونه :

أنّ الاساطير تجلب إلى الجفون النُّعاسَ أمّا أسطورتي فعجيبة تزيل النّوم والنعاس عن العيون والأبصار .

= (٤) و (٥) زاد المعاد ٥٧٣ ـ ٥٧٤ .

(١) نفسه .

(٢) نفسه ٥٧٤ .

الحكاية :

نقل شيخنا ثقة الإسلام النوري (عطّر الله مرقده) في كتابه (دار السلام) عن السيّد الفاضل والسنّد المؤيد الأرشد الورع العالم التّقيّ الأمير سيد علي بن العالم الجليل والفقيه النبيلّ ، قدوة أرباب البحث والتحقيق ، ومن يُشَدّ الرّواحل إليه من كلّ فجّ عميق ، المبّرأ مِن كل شَينٍ ، ودَرَنٍ ، الأمير السيد حسن الحسيني الاصفهاني (ألبسه الله حلل الأمان وحشره مع سادات الجنان) قال : لمّا توفيّ والدي العلامة ، كنت مقيماً بالنجف الأشرف ، مشتغلاً بتحصيل العلوم ، وكانت أموره بيد بعض أخواني ، ولم أكن أعلم بتفاصيل ما جرىٰ هناك ، وتوفيّت والدتي بعده بسبعة أشهر ، فنقل جثمانها إلى النجف الأشرف ، ودفنت بها ، وذات يوم رأيت في منامي ، كأني جالس في غرفتي ، وإذا بأبي قد ورد عليّ ، فقمت احتراماً له ، وسلّمت عليه ، فجلس صدر المجلس ، فتلّطف بي في السؤال عنّي وعن أحوالي ، وكنت أتذكّر موته في تلك اللحظة ، فسألته إنّك قد توفيّت في اصفهان ، وأنا أراك هنا في النجف ، فكيف يكون ذلك ؟ قال : نعم ، ولكن أنزلونا بعد وفاتنا في النجف ، ونحن الآن مقيمون بها .

فسألته : وهل والدتي معكم ؟ قال : لا ، فاستوحشت واستغربت ، فقال : إنها في النجف لكنها في موضع آخر .

فتفّطنت إلى أنّ أبي كان عالماً ، ومقام العلماء يختلف عن مقرّ غيرهم ، لاختلاف مقامهم ومنزلتهم العلميّة .

ثم سألته عن حالته وما هو فيه . قال : كنت في ضيقٍ ومحنة ، لكنّي الآن في رفاه ، لزوال الشدّة .

فسألته متعجباً : فهل كنت في ضِيق وشدّة أيضاً ؟ قال : نعم ، كنت مديناً إلى الحاج رضا النّعال وجرّني ذلك إلى مخمصة وعويصة . فزاد عجبي ، واستيقظت وأنا خائف متعجب .

فكتبت الرؤيا إلى أخي ، أنّ الحاج رضال النَّعَّال هل يطلب من والدي شيئاً أم لا ؟ كتب أخي : إنّني كلّما تفحصّت في قائمة أسماء دائني والدي ، ما وجدت اسم الرجل ثم كتبتُ إلى أخي ، أن اسأل الحاج رضا النَّعَّال ، هل يطلب والدي شيئاً . فكتب لي أخي : إنّ الحاج رضا يدّعي أنه يطلب والدنا ثمانية عشر توماناً (مائة وثمانين ريالاً إيرانياً) ، ولا يعلم بذلك إلّا الله ، وقد سألتكم بعد وفاة أبيكم عن وجود اسمي في قائمة دائني والدكم ، فأجبتم بالنّفي .

ففكّرت في نفسي أني لا أستطيع إثبات مالي على والدكم ، لعدم وجود الدليل ، وسببه اعتمادي عليه في تسجيل ديونه في دفتره ، وتبيّن لي أنّه تسامح في الأمر ، ويئستُ عن طلبي ، ولم أُبح بذلك . وأضاف أخي في كتابه الذي بعثه لي : أنّي نقلت إلى الحاج رضا النَّعَّال ما رأيته في منامك ، وقدّمت إليه حقّه . فامتنع عن أخذه ، قائلاً : لقد برأت ذِمّتي عليه بهذا الخبر[1] .

الحكاية :

ونقل الشيخ الأجل المحدث المتبحر ، ثقة الإسلام النوري (نوّر الله مرقده) في (دار السلام) عن العالم الفاضل الصالح الورع التقيّ ، الحاج ملّا أبو الحسن المازندراني ، أنه قال : كان لي صديق من أولي الفضل والتّقى ، يدعى ملّا جعفر بن العالم الصالح ملّا محمد حسين الطبرستاني (الطبري) من أهالي قريةٍ تُعرَف بتيلَكَ . ولمّا أصاب الطاعون البلاد ، كان عدد من الناس قد جعلوه وصيّاً لهم . فمات الموصون بالطاعون ، وجمع الوصيّ أموالهم ، ولكنّ الوصي توفي بالطاعون قبل أن يستطيع صرف الأموال في مواردها المعيّنة . فأتلفت الأموال ، لأنّها لم تنفق في ما يجب أن تنفق وتصرف .

ورزقني الله (تبارك وتعالىٰ) زيارة المشاهد المشرّفة ومجاورة قبر

(١) دار السلام ٢/١٦٥ .

أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) بكربلاء .

وذات ليلة رأيت في منامي رجلاً وقد تدلّى لسانه الطويل على صدره ، وفي عنقه سلسلة ناريّة تتصاعد عنها زبانية النار ، وقد مسك طرفي السلسلة شخصان ، يجرّان الرّجل ، فلما رآني الرّجل ، قصدني ودنا منيّ ، ولما اقترب رأيته وعرفته وكان صديقي الشيخ ملاّ جعفر ، فتعجّبت من حاله وممّا هو فيه ، فأراد أن يكلمني ويستغيث ، فجرّ موكّلاه سلسلته إلى الوراء ، ومنعاه عن التكلم والبيان ، فعزم على ذلك ثانية وثالثة فخفت لهذا المنظر المؤلم خوفاً شديداً ، وصرخت صرخة عظيمة وأفقت من نومي ، وأفاق من صرختي أحد العلماء ،! وكان نائماً إلى جانبي ، فنقلت إليه الرؤيا .

وقد صادف وقت فتح أبواب صحن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) فقلت لصديقي : لنذهب إلى الحرم الشريف ، ونزور الإمام الحسين (عليه السلام) ، ونستغفر لملاّ جعفر فيرحمه الله (تعالىٰ) إن كانت رؤياي صادقة . وتشرفنا إلى زيارة الإمام ، وأدّينا ما قصدنا . ومضت السنون والأعوام ، ومرّ على ذلك عشرون سنة ولم يتبيّن لي من حال ملاّ جعفر شيء . وكان أغلب ظنّي أن عذاب هذا كان بسبب قصوره في أموال الناس وتقصيره فيها .

ولمّا منّ عليّ الله ورزقني زيارة بيته ، وفرغت من أعمال الحجّ ، ورجعت إلى المدينة المنوّرة ، أصبت بمرض شديد منعني عن السّير والحركة . فسألت أصحابي أن يغسلوني ويبدّلوا ثيابي ، ويحملوني إلى الروضة النبوية المباركة ، قبل أن يدركني الموت .

ففعلوا ذلك ولما دخلت الحرم النبوي ، وضعني أصحابي على الأرض وأنا في حالة الاغماء ، وذهبوا لأداء الزيارة ، وعندما صحوت حملوني إلى قرب الضريح النبوي وزرت ، وأخذوني إلى الجهة المعروفة ببيت الزهراء (عليها السلام) وهو موضع لزيارتها ، فجلست

وزرتها وطلبت شفائي ، وتشفّعت بفلذة كبدها الحسين (عليه السلام) بأن تسأل الله (تعالىٰ) ربّي وربّها أن يشفيني من دائي ، وتوجّهت إلى رسول الله وطلبت حوائجي وحوائج اصحابي وشفاعة من مَات من أصحابي بذكر أسمائهم ، إلى أن وصلت ملاّ جعفر ، وتذكرت الرؤيا التي رأيتها وانقلبت أحوالي ، وأصررت وألححت في طلب الغفران له والشفاعة إليه ، وشرحت ما رأيت في منامي دون أن أعلم صدق ذلك من كذبه ، أهي رؤيا صادقة أم كاذبة ومن أضغاث الأحلام ، وتضرعّت إليها ما أمكنني ، وشعرت بخفّة في جسمي ووجودي ومرضي ، ونهضت دون أن أستعين بأحد من أصحابي ، وعدت إلى بيتي ، وزال المرض عنّي ببركة الزهراء فاطمة (عليها السلام) .

ولما عزمنا على الرحيل إلى المدينة ، نزلنا في أُحُد ، وزرنا شهداء أُحُد ونمت ورأيت صديقي ملاّ جعفر في منامي بحالة طيّبة ، عليه ثياب بيض ، وعلى رأسه عمامة ، وفي يده عصا ، فجاءني وسلّم عليّ ، وقال : مرحباً بالأخوّة والصداقة ، يجدر بالصديق أن يفعل بصديقه ما فعلت بي وفي سبيلي ، ولقد كنت في ضيق وشدّة طوال تلك المدة ، وما أن خرجت من الروضة النبوّية ، إلاّ وقد تخلّصت من تلك العقوبات والصعوبات ، وقد تنظفت من أوساخي وأدراني ليومين أو ثلاثة أيام ، وقد أهدىٰ إليّ رسول الله هذه الثياب ، كما أهدت إليّ الزهراء (عليها السلام) هذه العباءة ، وتحسّنت أموري وأحوالي ، وقدمت لمشايعتك وبشارتك وأنك لتنقلب إلى أهلك سالماً ، وأنّ أهلك يتمتعون بالصحة والعافية ، فاستيقظت من نومي فرحاً مسروراً .

وأضاف الشيخ أنه يَجدُرُ بالإنسان العاقل أن يتأمل في دقائق هذه الرؤيا ، لأنها تشتمل على أمورُ تزْيل عمى القلب ، وتدفع القذى عن العين[1] .

---

(١) دار السلام ٢ / ١٥٥ .

الحكاية :

وفي دار السلام أيضاً أنّ الشيخ الأجل الأورع الحاج ملاّ علي نقل عن جدّه الحاج مرزا خليل الطهراني (رحمه الله تعالى) أنّي كنت في كربلاء وكانت والدتي في طهران ، وذات ليلة رأيت في المنام أنّ أمي جاءتني وقالت : يا بنيّ ، إني قد متُّ ، وحملوني إليك ، وكسروا أنفي . فهرعت من نومي ولم يمرّ طويلاً إلاّ وجاءتني رسالة من بعض اخواني ، تقول : انّ أُمّك قد ماتت ، فارسلنا جثّتها إليك . فجاءني الجَنّازَةُ وقالوا : جئنا بجنازة والدتك ، وجعلناها في خان قرب (ذي الكفل) ، لأننا ظنّنا أنك في النجف الأشرف . فأدركت صدق حلمي ولكن حِرتُ في معنى قولها حيث قالت : (كسروا أنفي) إلى أن وصلني النعش والجسد .

فنحيّت الكفن عن وجهها ، وإذا بأنفها قد كسر . فسألت الجَنّازَةَ عن سبب ذلك . قالوا : لا علم لنا بذلك ، ولكننا جعلنا جنازتها على الجنائز الأُخرى في خان من خانات الطريق . فتراكلت الحمير فيما بينها في الخان ، وتراكضت وتدافعت ، فسقطت الجنازة على الأرض ، وربما كسر أنفها على أثر ذلك ، ولا نعلم سبباً غير الذي ذكرناه .

فحملت الجنازة إلى حرم أبي الفضل العباس بن علي (عليه السلام) ، ووضعتها أمام ضريحه ، وقلت : يا سيدي ، يا أبا الفضل العباس انّ أُمي هذه ما كانت تُحسِنُ صلاتها وصومها ، وهي الآن دخيلتك فادفع عنها العذاب ، وأنا ضامنها لادفع عنها صلاة خمسين سنة وصوم خمسين سنة استئجاراً ، فدفنتها ، وتسامحت في دفع الصلاة والصوم .

وما أن مضت مدّة ورأيت في منامي أن ضجيجاً وصخباً يسمعان على باب بيتي ، فخرجت من بيتي لأرى ما قد حدث ؟ فرأيت أُمي

مشدودة بجذع شجرة ، والسياط تَنزل عليها . فسألت الضاربين : ما بالكم ! لماذا تثخنونها بالمقرعة ؟ قالوا : أمرنا أبو الفضل (عليه السلام) بضربها حتى تدفع مبلغ كذا .

فدخلت البيت ، وعدت بما طلبوه منها ، وحللت أُمي من شدّها ، وحملتها إلى بيتي وخدمتها ، واستيقظت من نومي ، وحسبت المبلغ الذي طولبت في النوم فكان يعادل ـ بالضبط ـ المبلغ الذي يجب أن أدفعه لاستئجار صلاة خمسين سنة وصوم خمسين سنة .

وحملت المبلغ المقرّر فوراً وذهبت به إلى السيّد الأجّل مرزا سيّد عليّ ، صاحب كتاب (الرياض) عليه (رضوان الله تعالىٰ) ، وقلت له : هذا بَدَلُ خمسين سنة من الصلاة والصوم ، أرجو أن تصرفه تعويضاً لأُمي[1] .

قال شيخنا الأجّل صاحب دار السلام (أحلّه الله دار السلام) وفي هذه الرؤيا من عظم الأمر ، وخطر العاقبة ، وعدم جواز التهاون بما عاهد الله على نفسه ، وعلّو مقام أوليائه المحبيّن ما لا يخفي على ما تأملها بعين البصيرة ونظر الاعتبار .

الحكاية :

كما ذكر عن والده الصالح أنّه كان في أحد الحمّامات بطهران خادم بسيط ، لا يصلّي ولا يصوم . فجاء يوماً إلى معمار يريد منه أن يبني له حمّاماً . قال له المعمار : من أين لك نفقات البناء وتكاليفه ؟ قال الخادم للمعمار : مالك بذلك ولا داعي للسؤال خذ المال وابن الحمّام . فبنى المعمار حمّاماً سمّاه باسمه وكان يدعى «علي طالب» .

قال المرحوم الحاج ملاّ خليل : كنت في النجف ورأيت في منامي أنّ «علي طالب» جاء إلى وادي السلام بالنجف ، فتعجبت لذلك ،

---

(١) دار السلام ٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

وقلت : كيف بك في هذا المقام الشريف ، وكنت لا تصلّي ولا تصوم . فقال لي : يا فلان ، لقد مُتُّ وأخذوني مكبّلاً بالسلاسل والأغلال للتعذيب ، فانقذني الحاج ملّا محمد الكرمانشاهي (جزاه الله خيراً) فاستناب من يحجّ عنّي ، واستأجر فلاناً ليصوم عنّي ، ويصلّي ، ودفع من المال ما يزكّيني ، ودفع ردّ المظالم إلى فلان وفلان ، وما بقي على ذمتي إلاّ أدّاه ودفعه ورفعه ، ونجوت من العذاب والتعذيب .

فهرعت من نومي ، وكنت متعجباً إلى أن جاءني جماعة من طهران ، فسألتهم عن «علي طالب» فأخبروني بموته بمثل ما سمعته من الميّت في الرؤيا طابق الفعل بالفعل ، حتى مطابقة أسماء المستأجرين الذين تعاهدوا صلاته وصومه . وعجبت كثيراً من رؤياي وتطابقه مع الحقيقة والواقع[1] والحاج ملّا محمد الكرمانشاهي كان من العلماء الأخيار والصلحاء الأبرار في زمانه .

ولا يخفىٰ أن هذه الرؤيا تصدّق الأخبار والروايات الواردة في أنّ ثواب الصوم والصلاة والحج وسائر الخيرات والمبّرات تصل الميّت ، وإذا ما تضايق الميّت أحياناً فتنفرج عنه المضايقات بهذه الخيرات والصدقات والحسنات . كما تصدّق أيضاً الأخبار والروايات القائلة بأنّ : «ما من مؤمن يموت في شرق العالم وغربه ، إلاّ وأنّ روحه تُحمَل إلى وادي السلام»[2] .

وفي بعض الأخبار أن أرواح المؤمنين تجتمع مع بعضها على شكل حلقات .

الحكاية :

نقل من أربعينيّات العالم الفاضل والعارف الكامل القاضي سعيد القميّ (رحمة الله عليه) أنّه قال : بلغنا ممّن هو ثقه وفي موضع

(١) دار السلام ٢ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٢) بحار الأنوار ٦ / ٢٦٨ .

الاعتماد ، عن استاذ الأساتذة الشيخ بهاء الملّة والدّين العاملي (قدّس سرّه أنه ذهب لزيـارة بعض العارفين وقـد اتخذ العـارف هذا مقبـرة من مقابـر اصفهان مقرّاً له ومأوى يأوي إليه . فقـال العارف للشيـخ : شاهـدت في هذه المقبرة أمراً غريباً ، وذلك أنّي رأيت جمـاعة أتـوا بجنازة ، ودفنـوها في الموضع الفلانيّ ، وغادروا الموضع . فمـا مضت ساعـة إلاّ وشعرت بـرائحة طيبـة زكيّة تفـوق الروائـح المعهودة . فتحيّـرت ، ونـظرت يمينـاً وشمالاً لأطلع على مصدر تلك الرائحة ، وإذا بشـابّ وسيم جميل مليـح في هيئـة الملوك يتجه إلى ذلـك القبر إلى أن وصله وجلس إلى جـانبه ، وانمحى عن بصـري ومرآي ، وكـأنه دخـل القبر . ولم تنقض على هـذه الحـادثة لحـظات إلاّ وشَمَمتُ رائحـة خبيثـةُ منتِنَـةً من أعفن الـروائـح ، فنـظرت وإذا بكلب يسيـر على أثـر الشـابّ ، حتى وصـل القبـر ذاتـه واختفي . فزاد عجبي .

وكنت في هذه الحال فإذا بالشابّ قد خرج وهو في هيئة سيئة عليه الجـروح وعاد إلى حيث أتى : فعقّبتـه ورجوتـه أن يبوح لي بـالحقيقة ، فقال : أنا العمل الصالح لهذا الميّت ، أُمِرتُ أن أجارِيه في حفرتـه وإذا بـالكلب الذي رأيتـه قد أتى ، وهـو يمثل عمله السَّيّ ءُ ، فـأردت إبعـاده لِأفِيَ بِحقِّ مصـاحبته ، فعضّني الكلب ، وجـرحني ، وقـطع قـطة من لحمي كمـا تـرى ، ولم يـدعني أن اصـاحبه ، ولم اقـدر البقـاء معـه ، وتـركتـه . فلمّـا قصّ العـارف الحكـايـة على الشيـخ ، قـال الشيـخ : صـدقت ، فنحن قائلون بتجسّـد الأعمال وتصـوّرها بـالصـورة المنـاسبـة بحسب الأحوال .

قـال المؤلف : إنّ هذه الحكـاية تؤيّـد ما رواه الصّـدوق في مفتتح أمـاليه ، وملخصـه أن قيس بن عاصم المنقـري جاء ، مـع رهط من بني تميم ، إلى رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم) ، وطلبـوا إليـه أن يعـظهم مـوعـظة نـافعـة ، فـوعـظهم النبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) بكلماته ، ومنها ما قال : يا قيس ! لا بـدّ لك من قـرين يدفن معـك وهو

حيّ ، وتدفن معه وأنت ميت ، فإن كان كريماً يكرمك ، وإن كان لئيماً يُهمِلُك ، ولا تُحشَرُ إلا معه ، ولا تبعث إلاَّ معه ، ولا تُسأل إلاَّ عنه ، فلا تجعله إلاَّ أن يكون صالحاً ، لأنه إن كان صالحاً ، تأنس به ، وتستأنس معه ، وإن كان فاسداً لا تستوحش إلاَّ منه ، وذاك عملك ، قال قيس : يا نبيّ الله : لوددتُ أن تنظم هذه الموعظة شعراً لنتباهى بهذا الشعر على من عندنا من العرب ونجعلها مُدَّخراً لنا . فأمر الرسول باحضار حسان فنظمها صلصال بن دلهمس الشاعر ، وكان حاضراً في المجلس ، وقال :

تخيّر خليطاً من فِعالِكَ إنّما ... قرين الفتى في القبر ما كان يَفعَلُ
ولا بدّ بعد الموت من أن تعدّه ... ليوم يُنادَى المرءُ فيه فَيُقبِلُ
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن ... بغير الذي يَرضَى به اللّهُ تَشغَلُ
فلن يَصحَبَ الإنسانَ مِن بعدموته ... ومِن قبله ، إلاَّ الذي كان يَعمَلُ
أَلا إنما الإنسانُ ضيفٌ لأهله ... يُقِيمُ قليلاً بِينَهُم ثُمَّ يَرحَلُ[1]

روى الصدوق (عليه رحمة الله) عن الصادق من آل محمد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ عيسى بن مريمَ (عليه السلام) مَرَّ بقبرٍ ، كان يُعذَّب صاحِبُه ، وَمَرَّ به ثانيةً بعد سنةٍ ، فرأى أنّ العذاب قد رُفِعَ عنه ، فقال : اللهم إني قد مررت بهذا القبر قبل سنة ، وكان صاحبه يعذّب ، ومررت به في هذه السنة فوجدته مرفوعَ العذاب ؟ فأوحى إليه أن يا روحَ الله ، كان لصاحب هذا القبر ولد صالح صغير ، فبلغ سنّ الرشد ، وأصلح طريقاً للمسافرينَ والمارّة ، وآوى يتيماً ، فرَحِمتُ أباه وغَفَرتُ له لِما عَمِلَهُ وَلَدُهُ من خير وبرّ[2] .

---

(١) بحار الأنوار ، ط بيروت ٧٤/١١١ نسبة إلى قيس بدلا عن صلصال .
(٢) بحار الأنوار ٦/٢٢٠ .



فصل

القيامة

القيامة من منازل الآخرة المهولة ، إذ هولها أشدّ الأهوال وأعظمها ، وفزعها أكبر فزع ، وقد وصفها الله (تبارك وتعالىٰ) في القرآن : ﴿**ثقلت في السماوات والأرض ، لا تأتيكم إلاّ بغتة**﴾[1] .

وروى القطب الراوندي عن الصادق من آل محمد (عليهم السلام) : «أنّ عيسى بن مريم (عليه السلام) سأل جبرئيل : متى تقوم القيامة ؟ فارتعش جبرائيل بسَماعِه اسمَ القيامة ارتعاشاً شديداً بحيث سقط على الأرض مغشيّاً وأغمي عليه ، ولما صحا ، قال : يا روحَ الله ، ليس المسؤول بأعلم من السائل عن أمر القيامة ، ثم تلا الآية التي مّر ذكرها»[2] .

وروى الشيخ الجليل عليّ بن إبراهيم القمي (رحمه الله تعالى) عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه : «كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) جالساً ذات يوم وإلى جانبه جبرائيل ، فوقع بصر جبرائيل إلى السماء ، فتغيّر لونه من شدّة الخوف والفزع وأصبح كالزعفران أصفر ،

---

(١) القرآن سورة الأعراف : الآية ؛ ١٨٧ .

(٢) بحار الأنوار ٦/٣١٢ و٧/٦١ ج ١٤ .

والتجأ إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) فنظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلى الجهة التي نظر إليها جبرائيل ، فرأى ملكاً قد ملأ الشرق والغرب بهيكله وكأنّه غطاءُ الأرض . والتفت الملك إلى رسول الله قائلاً : يا محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إني رسول ربّك إليك لأخيّرك ما بين هذين : أتفضّل أن تكون ملكاً ورسولاً ، أو عبداً ورسولاً ؟ فنظر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلى جبرائيل فرآه قد تغيّر لونه إلى سابقه واستعاد نفسيّته ، فنظر جبرائيل إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقال : إختر يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن تكون عبداً ورسولاً . فقال رسول الله للملك : أريد أن أكون عبداً ورسولاً .

فوضع الملك رجله اليمنى في سماء الدنيا ، ورجله اليسرى في السماء الثانية ، واليمنى في الثالثة واليسرى في الرابعة وهكذا إلى أن بلغ السماء السابعة . وبهذه الطريقة قطع الطبقات السبعَ للسماوات السبع ، وعاد إلى حيث أتى ، أي أنه كان يقطع مسافة ما بين طبقة سماوية أخرى في قدم واحد ، وكان كلّما ارتقى وابتعد ، صَغُرَ حجمُهُ وهيكله ، إلى أن ظهر على شكل طائر صغير . فنظر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلى جبرائيل وقال له : لقد شاهدت فيك فَزَعاً شديداً ومما أخافني أكثر مما أخافني ارتدادُ لونك واصفرار وجهك . فقال جبرائيل : لا تلمني يا رسول الله . أَعَلِمتَ من هذا الملك ؟ هذا إسرافيل ، حاجب الإلٰه وهو لأوّل مرّة نزل من السماء إلى الأرض ، إذ لم ينزل منها مذ خلق الله السماوات ، والأرض»[1] .

لقد رأيته ينزل إلى الأرض ، فظننت أنه جاء ليقيم القيامة ، فوجلت من فزع القيامة وشَحُبَ لوني كما رأيت ، ولمّا علمتُ أنّه لم يجيء لأمر القيامة ، بل بعثه الله إليك بعد أن اختارك واصطفاك ، إكراماً

---

(١) لعل المراد أنه لم ينزل وحيداً وبلا سابقة اخبار لمثل هذه الأُمور كيلا يتنافىٰ مع نزوله مع جبرائيل وميكاييل لابادة قوم لوط أو مثل ذلك والله العالم (منه) .

وتعظيماً لمقامك ، عادت أنفاسي ، واستعدت حالي وارتدّ لوني فزال اصفرار وجهي . الخبر[1] .

وفي رواية أنّه ما من ملك مقرّب ولا سماء ولا أرض ، ولا ريح ولا جبل ولا صحراء ولا بحر إلاَّ أن يهاب الجمعة ، لأنّ القيامة تقوم في الجمعة[2] .

قال المؤلف : لعل المراد من خوف السماء والأرض وسائر الأشياء المذكورة ، خوف أهلها والموكّلين عليها كما جاء في تفسير المفسّرين لمعنى الآية : **﴿ثقلت في السماوات والأرض﴾**[3] .

وروي أنه لمّا كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) يذكر القيامة يتغير صوته ويشتدّ ، ويحمّر وجهه الشريف .

ونقل الشيخ المفيد في الارشاد أنه عندما رجع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) من غزوة تبوك ، جاء إليه عمرو بن معد يكرب الزبيدي فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : أسلم ياعمرو حتىٰ يأمنك الله من الفزع الأكبر . فقال عمرو : وما هو الفزع الأكبر فاني ممّن لا يهابون ، وهذا ما يبيّن شجاعة عمرو وجرأته ، فقد جاء في الأخبار أنه كان شجاعاً مِهياباً في عصره وبين بني قومه ، وقد تمّ من فتوح العجم على يده كثير ، وسمّي سيفه صمصامة فيضرب بسيفه قوائم الجمل كلّها ويقطعها .

فسأله عمر بن الخطاب أن يريه الصمصامة ، فأحضرها عمرو : فجرّدها عمر بن الخطاب وأَمَرَّ حدّها على شيء يختبر حدّتها ، فلم تؤثر فيه . فطرحها عمر جانباً وقال : انّها لا تنفع . فقال عمرو : أيها الأمير انك

---

(١) بحار الأنوار ٢٩٢/١٦ ، ح ١٦٠ .
(٢) نفسه ٥٨/٧ ـ ٥٩ ، ح ١ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ؛ ١٨٧ .

طلبت سيفاً لا زنداً وعضداً يضرب السيف[1] فاستاءَ عمر من كلام عمرو وعاتبه وفي رواية أنه ضربه .

ومجمل القول أنه لما قال عمرو : إنّي لا أهاب الفزع الأكبر . قال له النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «ليس الأمر كما ظننت يا عمرو ، فإنّ صيحة واحدة تطلق وتحيي الموتى وتميت الأحياء إلاَّ من شاء ربّك ألاَّ يموت ، وفي صيحة ثانية يحيي جميع الموتى ، يصطفّون ، وبها تنشق السماء وتتلاشى الجبال وتتناثر ، وتقذف جمرات ، من نار جهنم كالجبال ، فلا يبقىٰ حيّ إلاَّ وقلبه يرتجف وكأنه ينقلع ، يتذكر معاصيه ، وينشغل بنفسه ، إلاَّ من شاء الله أن يستقيم ، فأين أنت يا عمرو وهذا الأمر ؟ فقال عمروٌ : أني لأسمع أمراً هائلاً عظيماً .

فأضاف النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : هول القيامة إلى درجة أن الموتى يخافونه وهم في القبور والبرزخ ، فيستوحشونه إلى درجة أنّ بعض الأموات الذين عادوا إلى الحياة على أثر دعاء أولياء الله ، كانوا ذوي شعر أبيض ، فسئلوا عن سبب بياض شعر رأسهم . فقالوا : لمّا أمرنا بالعودة إلى الحياة ، ظننّا أن القيامة قد قامت فانقلب شعر رؤوسنا من السواد إلى البياض استيحاشاً ووحشةً من هول القيامة»[2] .

وهنا نذكر بعضٍ ما يُزيل شدائد القيامة ويُطمئن من الفزع الأكبر ، ويتلخص في خمسة أمور :

١ ـ روي أنه : «من قرأ سورة يوسف (عليه السلام) كلّ يوم أوكلّ ليلة ، يبعث يوم القيامة جميلاً كجمال يوسف (عليه السلام) ولا يستولى عليه فزع يوم القيامة الأكبر»[3] .

---

(١) نقل المؤلف في حاشية الصفحة :

وعادةُ السيفِ أن يَزهُو بجوهَرِهِ ... وليسَ يَعمَلُ إلاَّ فِي يَدَي بَطَلِ

(٢) بحار الأنوار ١١٠/٧ .

(٣) نفسه ٢٩٣/٧ .

وعن الباقر (عليه السلام) أنه : «من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله فإنّ الله (تعالىٰ) ، يبعثه مع الآمنين المطمئّنين»[1] .

وروي عن الصادق (عليه السلام) : «من قرأ سورة الاحقاف كل ليلة ، أو كل جمعة ، لا يستولى عليه الخوف في الدنيا ، ويجعله الله (تعالىٰ) في أمان يوم القيامة»[2] .

وعنه أيضاً (عليه السلام) : «من قرأ سورة والعصر في نوافله ، يُبعَثُ يوم القيامة ناصعَ الوجه مُشَرِقَ المُحَيَّا ، قريرَ العين ، تبدو على شفتيهِ البَسَمَةُ إلى أن يدخل الجنة»[3] .

٢ ـ وروى الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «من احترم الذي بيّض شعره في الإسلام ، جعله الله في أمان من فزع القيامة الأكبر»[4] .

٣ ـ وروي عنه أيضاً أنّه قال : «من مات في طريق مكّة في ذهابه إليها أو إيابه عنها ، كان آمناً من فزع القيامة الأكبر ، ولا يخاف منه»[5] .

وروى الصدوق عنه أنه قال : «من مات في أحد الحرمين ، أي حرم مكةَ وحرم المدينة ، (زادهما الله شرفاً وتعظيماً) بعثه الله مع الذين لا يخافون ، وهم في أمان يوم القيامة»[6] .

٤ ـ روى الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : «من دفن في الحرم ، أي حرم مكة المعظمة ، كان في أمان من الفزع الأكبر»[7] .

---

(١) نفسه ٧/٢٩٥ .
(٢) نفسه .
(٣) نفسه ٧/٢٩٨ .
(٤) نفسه ٧/٣٠٢ ، ح ٥٣ .
(٥) نفسه ح ٥٥ .
(٦) نفسه ح ٥٧ .
(٧) نفسه ح ٥٤ .

٥ ـ روى الصدوق عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «من تهيّأت له فاحشة[١] أو شهوة ، فتخلّى عنها وتجنّب عن التورّط فيها خوفاً من الله (تعالىٰ جلّ وعلا) ، حرّم الله عليه نار جهنم ، وجعله في أمان من هول القيامة وخوفها»[٢] .

٦ ـ وروي عنه أنه قال : «من عادى نفسه ولم يعاد الناس ، جعله الله في أمان من فزع يوم القيامة» .

٧ ـ روى الشيخ الأجلّ ، علي بن إبراهيم القميّ عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : «من كظم غيظه وهو قادر على تنفيذه وتطبيقه ، ملأ الله (تعالىٰ) قلبه بالإيمان والأمان» [٣] .

٨ ـ قال الله (تبارك وتعالىٰ) في سورة النمل : **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ، وهم من فزع يومئذ آمنون﴾**[٤] . وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : «الحسنة في هذه الآية ، المعرفة والولاية ومحبّتنا نحن أهل البيت» [٥] .

٩ ـ روى الصدوق عن الصادق (عليه السلام) أنه قال : «من أعان أخاه المغمومَ الضَّمآن بِما في وسعه ، وأراحه من همّه وغمّه ، أو أعانه في قضاء حاجته ، فله من الله (تعالىٰ) اثنتان وسبعون رحمة ، يعطيه الله في الدنيا رحمة واحدة ، وبها يصلِحُ الله أمر معاشه ، ويدّخر له احدىٰ وسبعين رحمةً الباقية لأهواله وفزعه يوم القيامة»[٦] .

قال المؤلف : وهناك روايات عديدة في قضاء حوائج الأُخوة

---

(١) مثل الزنا وما يشبه ذلك العمل .
(٢) نفسه ٣٠٣/٧ ج ٦٠ .
(٣) نفسه ج ٦٢ .
(٤) سورة النمل : الآية ؛ ٨٩ .
(٥) بحار ١١٧/٧ ذيل حديث ٥٤ .
(٦) نفسه ٣١٩/٧ .

المؤمنين ، منها ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) : «من بذل جهده في رفع حاجة أخيه المؤمن ، وكلّ الله خمساً وسبعين ألفاً من الملائكة ، فلا يخطو خطوة ، إلاّ وكتب الله لـه حسنـة ، ومحا عنه سيئة ، ورفع لـه درجة ، وإذا ما أنجز عمله وفرغ منه ، كتب له أجر من حجّ واعتمر»[1] .

وعن الصادق (عليه السلام) : «أنّ قضاء حاجة المؤمن ، أفضل من حجّة ، وحجّة وحجّة ، وهكذا عدّ الإمام إلى أن بلغ العشرة»[2] .

وروي أنّه إذا عبد عابد في بني إسرائيل ، وبلغ أقصى درجة العبادة ، اختار السّعي في قضاء حاجة الناس على العبادات الأُخرى .

وروى الشيخ الجليل شاذان بن جبرئيل القميّ عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنّه : «رأى ليلة المعراج وفي عروجه إلى السماء هذه الكلمات مكتوبة على الباب الثاني من أبواب الجنّة : لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله ، وعلي ولي الله . لكل شيء حيلة»[3] . وحيلة السرور في الآخرة أربع خصال : ملاطفة الأيتام ، التحنّن على الأرامل ، ورفع حوائج المؤمنين ، والتعهّد إلى الفقراء والمساكين ، وما إلى ذلك . ومن هنا فقد كان العلماء وكبار رجال الدّين يبذلون قصارى جهدهم في قضاء حوائج المؤمنين ولا مجال هنا لما نقل عنهم من حكايات وأحاديث .

١٠ ـ روى الشيخ الكليني عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه من أتى إلى قبر أخيه المؤمن ، ووضع يده على قبره وقرأ سورة القدر ﴿**إنّا أنزلناه في ليلة القدر . . .**﴾ سبع مرّات ، جعله الله في أمان يوم الفزع الأكبر[4] .

---

(١)نفسه ٧٤/٣٣٢ ح ١٠٧ .

(٢) نفسه ٧٤/٢٨٥ ذيل حديث ٤ .

(٣) وفي نسخة أخرى : لكل شيء حلية .

(٤) بحار الأنوار ٧/٣٠٢ ح ٥٨ و ١٠٢/٢٩٥ .

قال المؤلف : وفي رواية أُخرى : أن يقابل القبلة ويضع يـده على القبر ويحتمل أن يكون الأمان للقارىء كما يتبيّن من ظاهر الخبـر ، أو أن يكون للميّت ، كما يظهر من بعض الروايات .

قـال المؤلف : قـرأت في مجمـوعـة الشيـخ الأجـلّ الأفقـه : أبي عبد الله محمد بن المكيّ العاملي المعروف بالشيخ الشهيـد ، أنّه : جـاء لزيارة قبر أستاذه الشيخ الأجل العالم فخر المحققّين نجل آية الله العلاّمة الحلّي (رضـوان الله عليهم أجمعين) ، فقـال : أروي عن صـاحب هـذا القبر ، وقد روى عن والـده الماجـد ، بإسنـاده إلى الإمام الـرضا (عليـه السـلام) : من زار قبره أخيـه المؤمن ، وقرأ عنـده سـورة القـدر وقـال : «اللهم جاف الأرض عن جنوبهم ، وصـاعد إليـك أرواحهم وزدهم منك رضـوانـاً ، وأسكن إليهم من رحمتـك مـا تصـل بـه وحـدتهم ، وتؤنس وحشتهم ، إنّك على كل شيء قـدير» جعـل الله القارىء والميّت كليهمـا في أمان من الفزع الأكبر[1] .

قال المؤلف : مما يظهر من كلام المجلسي الأول في كتاب شـرح الفقيه أن قبر فخر المحققين في النجف الأشرف ، ولعلّه بالقرب من قبـر والده العلامة الحلّي (رحمة الله عليه) في الايوان المطهّر .

(١) يستفـاد مضمون هـذه الروايـة من أصل روايتين احـداهما في بحـار الأنوار ١٠٢/٢٩٥ والثانية في الصفحة ٣٠٠ منه .

فصل

من المواقف المهولة للقيامة ساعة خروج المرء من قبره ، وهذه الساعة واحدة من الساعات الثلاث العصيبة الموحشة على ابن آدم[1] .

قال الله (تعالىٰ) في سورة المعارج : **﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون * يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنّهم إلى نُصُبٍ يوفضون . خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلّة ، ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾**[2] .

روي عن ابن مسعود أنه قال : كنت جالساً في محضر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال : «في القيامة خمسون موقفاً ، وكلّ موقف ألف سنة . المَوقِفُ الأول هو الخروج من القبر ، يحبس الناس فيه ألف سنة حفاة عراة جياعاً عطاشاً ، فمن خرج من جدثه مؤمناً بالله والجنة والنار والبعث والحساب والقيامة ، ومقرّاً بالله ، ومصدقاً لنبيّه وما أنزل من الله (تعالىٰ) ، نجا من الجوع والعطش»[3] .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة : «. . . **وذلك**

---

(١) بحار الأنوار ٧/١٠٤ ح ١٨ و ١٩ .

(٢) سورة المعارج : الآيات ؛ ٤٢ ـ ٤٤ .

(٣) بحار الأنوار ٧/١١١ .

يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب ، وجزاء الأعمال ، خضوعاً قياماً قد ألجمهم العرق ، ورجفت بهم الأرض ، وأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ، ولنفسه متّسعاً»[1] .

وروى الشيخ الكليني عن الصادق (عليه السلام) : «أن مثل الناس في وقوفهم يوم القيامة أمام الله كالسّهم في الكِنانة»[2] .

أي كما تُسَطَر السهام وتُرَصُّ في الكِنانَة جنباً إلى جنب بعضها ، بحيث لا يمكن تحريكها لشدّة تماسكها ببعضها من التضايق والتزاحم ، كذلك يتضايق الآدَمِيّون ذلك اليوم العسير إلى درجة لا يجدون إلاّ لموضع اقدامهم موضعاً ومجالاً ، ولا يمكنهم التحرك والتّزحزح عن الموضع الذي وقفوا فيه .

ومجمل القول : فإنّ هذا الموقف عظيم ، يجدر بنا هنا أن نذكر بعض الأخبار عن حال بعض من يخرجون من اجداثهم في لحظات الخروج :

١ ـ روى الشيخ الصدوق عن ابن عباس عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : «من شكّ في فضل علّي بن أبي طالب ، فانه يبعث يوم القيامة من قبره ، وفي عنقه طوق من نار ذو ثلاثمائة شعبة وفي كل شعبة شيطان يكشّر في وجهه عابساً ، ويَتفِل في وجهه»[3] .

٢ ـ روى الشيخ الكليني عن الإمام الباقر (عليه السلام) : «أنّ الله (تبارك وتعالىٰ) يبعث يوم القيامة أناساً من قبورهم ، غُلّت أيديهم وربطت إلى أعناقهم لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يأخذوا بأيديهم قدر أنْمُلَه ، ومعهم ملائكة يلومونهم بشدّة ، ويقولون : هؤلاء منعوا الخير القليل

---

(١) نفسه ٧/١١٤ وكذلك في نهج البلاغة .
(٢) بحار الأنوار ٧/١١١ .
(٣) نفسه ٧/٢١١ .

عن الخير الكثير ، وهؤلاء هم الذين منحهم الله من عطاياه ، فامتنعوا عن أداء حقوق الله من أموالهم»[1] .

٣ ـ روى الشيخ الصدوق عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) في حديث مطوّل أنّه : «من وشى بين شخصين ، سلّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة ، وإذا ما خرج من قبره وحفرته سلّط الله عليه حيّة سوداء تقطّع لحمه إلى أن يدخل النار»[2] .

٤ ـ وروي عنه (صلّى الله عليه وآله وسلم) أيضاً أنّه : «من ملأ عينه من النظر إلى المرأة الغريبة ، حشره الله يوم القيامة مسمّراً بمسامير ناريّة حتى يحكم الله بين الناس ، فيحكم عليه أن يؤخذ إلى النار» .

٥ ـ وروي عنه (صلوات الله عليه) أنّه قال : «شارب الخمر يحشر يوم القيامة مسودّ الوجه ، مائل العينين معتمة ، معوّج الفم ، يسيل اللعاب منه ، وقد أخرج لسانه من قفاه»[3] .

وجاء في كتاب علم اليقين للفيض المحدّث أنه روي في الصحّيح أنّ شارب الخمر يحشر يوم القيامة وفي عنقه كوز ، وفي يده قدح ، وهو أشدّ جيفة من كّل ميتة على وجه البسيطة ، يلعنه من يمرّ بِهِ مِن الخلائق» .

٦ ـ روى الشيخ الصدوق عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : «يأتي الرّجل المتلّون ذو الوجهين يوم القيامة وقد اخرج لسانه من قفاه ، ولساناً آخر من قدّامه ، يشتعلان حتى يشعلان جسده ، فيقال : هذا الذي كان قد اتخذ لنفسه وجهين ولسانين في الدنيا ويعرف بذلك يوم القيامة»[4] .

---

(١) نفسه ٧/ ١٩٧ .

(٢) نفسه ٧/ ٢١٤ .

(٣) نفسه ٧/ ٢١٧ .

(٤) نفسه ٧/٣١٨ ح ١٣٠ .

واعلم أنّ هناك أموراً كثيرة تفيد هذا الموقف الرهيب ، نشير إلى بعض تلك الأمور :

١ ـ جاء في حديث أنّه من شيّع جنازة ، وكلّ الله عليه ملائكة يحملون رايات ، يشيّعونه من القبر إلى محشره»[١] .

٢ ـ روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) : «أنه من أزال عن مؤمن همّه وغمّه ، أزال الله عنه هموم الآخرة وغمومها ، ويخرج من قبره مفرّح القلب مثلّجه»[٢] .

٣ ـ روى الكليني والصدوق في حديث مطوّل عن سدير الصّيرفي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه : «يحشر الله المؤمن من قبره ومعه تمثال ونظير ، وكلّ ما رأى المؤمن هولاً من أهوال القيامة ، قال له التمثال : لا تخف ولا تحزن فإنّ لك البشرى من الرحمن . ويديم على بشارته حتى يبلغ موقف الحساب ، فيحاسبه الله حساباً يسيراً ويأمر له بالجنّة والتمثال أمامه . فيقول المؤمن للتمثال : رحمك الله ، فقد كنت لي خلاّ حسناً ، خرجت معي من القبر ، وداومت على بشارتي بالسرور وكرامة الله تعالى إلى أن تحقّقت لي ، فمن أنت ؟ ويجيبه التمثال أنا السرور الذي أدخلته في قلب أخيك المؤمن في الدنيا ، وقد خلقني الله لأبشّرك بالسرور الدائم والفرح المداوم»[٣] .

٤ ـ وروى الشيخ الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً أنه قال : «من كسا أخاه المؤمن كسوة الشتاء أو الصّيف ، فقد أوجب الله على نفسه أن يكسوه ملابس الجنة ويسهّل عليه مشاقّ الموت ، ويوسّع عليه قبره ، ويبشّره الملائكة بالبشرى حين خروجه من قبره

---

(١) نفسه ٢٠٨/٧ .

(٢) نفسه ١٩٨/٧ ح ٧١ نقلاً عن الكافي .

(٣) نفسه ١٩٧/٧ و ٢٨٤/٧٤ .

اشارة إلى هذه الآية الكريمة : ﴿وتتلقّيهم الملائكة ، هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾»[1] .

٥ ـ روى السيّد ابن طاووس في كتابه (الاقبال) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنّه : «من قال في شهر شعبان ألف مرّة (لا إله إلاّ الله ، ولا نعبد إلاّ إيّاه ، مخلصين له الدين ، ولو كره المشكون) كتب الله له عبادة ألف سنة ، ومحا عنه معاصي ألف سنة ، وأخرجه من قبره يوم القيامة ناصع الوجه مشرقاً كالبدر في ليلة تمامه وكماله ويدّون في قائمة الصّديقين»[2] .

٦ ـ قراءة دعاء جوشن الكبير في أول شهر رمضان ختم ذكره حتم[3] .

ينبغي لنا أن ننقل في هذا المجال ما يناسب المقام فنقول : نقل الشيخ الأجّل أمين الدين الطبرسي (رحمة الله عليه) في كتابه مجمع البيان عن براء عازب أنه قال : كان معاذ بن جبل جالساً عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، في بيت أبي أيوب الأنصاري ، فقال معاذ : يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، أخبرني عن الآية : ﴿يوم ينفخ في الصور ، فتأتون أفواجاً﴾[4] فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «يا معاذ ، سألت عن أمر عظيم ، فأطلق النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) عيونه ، ثم قال : يحشر من أُمتي عشرة أصناف يختلفون عن باقي الأمّة ، فمنهم من يحشر كالسعادين ، وهؤلاء هم الوشاة وأصحاب النميمة في الدنيا ، ومنهم من يحشر كالخنازير ، وهؤلاء هم أهل السحت والمكاسب المحرّمة كالرّشوة والإرتشاء في الدنيا ، ومنهم من نكصوا فجعل عاليهم سافلهم أي رؤوسهم ووجوههم

---

(١) نفسه ١٦٨/٧ و ٣٨٠/٧٤ والقرآن الكريم سورة الأنبياء : الآية ؛ ١٠٣ .
(٢) اقبال الأعمال ٦٨٥ .
(٣) بحار الأنوار ٣٨٤/٩٤ في فضيلة هذا الدعاء وأنه أمان في الحياة والممات .
(٤) القرآن الكريم ـ سورة عمّ : الآية ؛ ١٨ .

على الأرض واقدامهم في الهواء ، يسحبون على وجوههم في المحشر ، وهؤلاء هم المرابوان وأكلة الربا في الدنيا ، ومنهم العُمْي وهم الجائرون من القضاة والحكّام في الدنيا ، ومنهم الصمّ البكم ، وهم المعجبون بأعمالهم ، ومنهم من يمتصّ ألسنتهم ، فيسيل القيح من أفواههم بدل اللّعاب بحيث يكرههم المحشرون ويشمئزّون منهم وينأون عنهم ، وهم أولئك العلماء والقضاة الذين كانت أعمالهم تنافي أقوالهم في الدنيا ، ومنهم من تقطعت أرجلهم وأيديهم ، وهم الذين آذوا جيرانهم في الدّنيا ، ومنهم من علّقوا على مشانق ناريّة وهم السعاة بالنّاس عند السلطان ، ومنهم من هو آسَنُ من الميتة وأَجيفُ منها ، فهم الذين يتمتّعون بالشهوّات ويمتنعون عن دفع حقوق الله من أموالهم ، ومنهم من لبسوا الجبّة والطّيلسان من قَطْرَان ، بحيث تَكسو أبدانهم ، ملصقة بجلودهم ، فهم أهل الكبرِ والفخر والاعتزاز»[1] .

---

(١) مجمع البيان ١٠/٤٢٣ ذيل تفسير الآية ١٨ من سورة عمَّ .

فصل

الميزان ومحاسبة الأعمال

من مواقف القيامة الرهيبة ، موقف الميزان ومحاسبة الأعمال . قال الله (تعالىٰ) في أوائل سورة (الأعراف) : **﴿والوزن يومئذ الحقّ ، فمن ثقلت موازينه[1] فأولئك هم المفلحون ومَن خفّت موازينه ، فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾**[2] .

وقال الله (تعالىٰ) في سورة (القارعة) : **﴿القارعة ما القارعة . . .﴾** إلى آخر السورة . فالقارعة بمعنى القيامة لأنها تقرع القلوب بالخوف والفزع **﴿وما أدريك ما القارعة﴾** أي هل تعلم ما هي القارعة **﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾** ، أي المنتشر والمتفرّق **﴿وتكون الجبال كالعِهن المنفوش﴾** أي الصوف المندوف ، والمحلوج **﴿فأمّا من ثقلت موازينه﴾** واعماله الخيّرة وحسناته **﴿فهو في عيشة راضية﴾** ، ومرضيّة مقبولة ، **﴿وأما من خفّت موازينه﴾** فإنّ مأواه الهاوية ، وهل تعلم ما هي الهاوية ، إنها **﴿نار﴾** مستعرة **﴿حامية﴾**

---

(١) قال المفسّرون : انّما ذكر الله الميزان بصيغة الجمع ، لأنّ لكل نوع من أنواع الطاعات والعبادات ميزان خاصّ به ، وقد تكون هذه الصيغة جمعاً للفظة الموزون ، وهي الأعمال الموزونة .

(٢) سورة الأعراف : الآيتان ؛ ٨ ، ٩ .

تصلي وتُحرق .

أعلم أنّه ربّما لا يساوي عمل لترجيح كفّة الميزان في ثقله مثل الصلاة على النبي الكريم وآله البررة (صلوات الله عليهم أجمعين) ومثل الخلق الحسن ، وإني لأحلّي كتابي هذا بذكر بضعة أخبار في فضيلة الصلاة على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، كما أزيّنه بذكر روايات ثلاثة وبضع حكايات في حسن الخلق ، أما الأخبار في فضيلة الصّلوات :

١ ـ روى الشيخ الكليني (رحمة الله عليه) ، بإسناد صحيح عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال : «لا يوضع في الميزان أثقل من الصلوات على محمد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فإنّ أعمال المرء توضع في الميزان بكاملها ، فيظهر الميزان خفيفاً ، فتخرج الصلوات من بينها وتجعل مجتمعه مع بعضها في ميزانه ، فيثقل الميزان»[1] .

٢ ـ روي عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : أنا ـ في القيامة ـ عند الميزان ، فمن رُجِحّت سيئاته على حسناته ، بحيث أثقلت كفّة المعاصي ، أجمع صلواته التي صلّاها عليّ ، فأضيفها إلى كفّة حسناته ، حتى تثقل هذه الكفّة ، وترجّح على كفّة السّيئات ، وتفوق تلك الكفّة»[2] .

٣ ـ روى الشيخ الصّدوق (رحمة الله عليه) عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال : «من عجز عمّا يزيل معاصيه وسيئاته ، فليكثر من الصلوات على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعلى آله لأنّ الصلوات تحطّم المعاصي ، وتبيد السّيئات»[3] .

---

(١) بحار الأنوار ٩٤/٤٩ و ٥٦ .

(٢) نفسه ٩٤/٥٦ ح ٣١ .

(٣) نفسه ٩٤/٤٧ ح ٢ .

٤ ـ نقل عن دعوات الراوندي ، أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال : «من صلّى عليّ ثلاث مرّات في النهار وثلاث مرّات في الليل شوقاً إليّ ومحبّة ، فقد حقّ على الله أن يغفر له ذنوبه التي أذنب في ذلك اليوم وفي تلك الليلة» .

٥ ـ وعنه أيضاً (صلوات الله عليه) ، قال : «رأيت عمي حمزة بن عبد المطلب ، وجعفر بن أبي طالب ، في المنام ، وأمامهما طبق من النَّبَق[١] فتناولا منه ساعة ، فتحول النبق إلى العنب ، فتناولا منه ساعة • ثم تحول العنب إلى رطب ، فتناولا منه ، فدنوت منهما وقلت لهما : بأبي أنتما ، أيّ الأعمال كان لكما أفضل وأنفع ؟ قالا : بآبائنا أنت وأمهاتنا ، لقد كان الصلاة عليك ، والسّقاية وحبّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أفضل الأعمال»[٢] .

٦ ـ وعنه (صلوات الله عليه) أيضاً : «من صلّى عليّ في كتابته ، فإنّ الملائكة تستغفر له ، ما دام اسميّ في ذلك الكتاب وتلك الكتابة» .

٧ ـ روى الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال : «كلّما ذكر النبي وآله ، فاكثروا من الصلوات عليه ، فإنّ من صلّى على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) مرّة واحدة ، فإنّ الله (تبارك وتعالىٰ) يصلّي عليه ألف مرّة في ألف صفّ من الملائكة ، ولا يبقىٰ على الأرض مخلوق إلاّ وصلّى على ذلك العبد ، أسوة بصلاة الله وملائكته ، فمن رغب عن هذا الأمر فإنّه جاهل مغترّ بنفسه ، ينفر الله ورسوله وأهل بيته»[٣] .

قال الفقير إلى رحمة ربّه أن الصدوق روى في كتابه (معاني الأخبار) عن الصادق (عليه السلام) قوله في معنى الآية : ﴿إنّ الله

---

(١) فاكهة شجرة السدر .

(٢) نفسه ٩٤/٧٠ .

(٣) نفسه ٩٤/٥٧ ح ٣٢ .

وملائكته يصلّون على النبي . . .﴾ ، فقال الإمام (عليه السلام) : الصّلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة تزكية ، ومن الناس دعاء»[1] .

وجاء في الكتاب نفسه أنّه سأل من روىٰ الحديث : كيف نصلّي على محمد وآله ؟ فقال الصادق (عليه السلام) : تقول : «صلوات الله ، وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآله محمد ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته» . قال الراوي : فسألت الإمام : ما ثواب من صلّى على النبي هكذا ؟ فقال الصادق (عليه السلام) : «ثوابه الخروج من معاصيه وسيئاته» : أي أنه يتطهرّ منها ، كمن ولد من أمه[2] .

٨ ـ روى الشيخ أبو الفتوح الرازي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : «في ليلة المعراج ، عندما وصلت إلى السماء ، رأيت ملكاً له ألف يد ، وفي كلّ يد ألف أصبع ، كان يعدّ بأصابعه . فسألت جبرائيل عن اسمه ، وعن وظيفته وعمله فقال : أنّه ملك موكل على عدّ قطرات المطر النازلة إلى الأرض . فسألت الملك : هل تعلم عدد قطرات المطر الساقطة على الأرض ، منذ أن خلق الله (تعالىٰ) الأرض ؟ فأجاب الملك قائلاً : يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، والذي بعثك بالحق نبيّاً إلى الخلائق ، أنّي لأعلم عدد قطرات المطر النازلة من السماء إلى الأرض عامة ، كما أعلم الساقطة في البحار ، والقفار والمعمورة والمزروعة والأرض السبخة والمقابر» .

قال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «فتعجبت من ذكائه وذاكرته في الحساب . فقال الملك : يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ولكنّي بما لديّ من الأيدي والأصابع وما عندي من الذاكرة والذكاء ، فانّي أعجز من عدّ أمر واحد . فقلت له : وما ذاك الأمر ؟

---

(١) سفينة البحار ٢ / ٤٩ .

(٢) عين الحياة للمجلسي ٤١٥ .

قال : إذا اجتمع عدد من أفراد أُمتك في محفل وذكروا اسمك فصلّوا عليك ، فحينذاك اعجز عن حفظِ ما لهؤلاء من الأجر والثواب إزاء صلواتهم عليك»[1] .

٩ ـ روى الشيخ الكليني ذيل صلوات عصر الجمعة : «اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، الأوصياء المرضيّين بأفضل صلواتك وبارك عليهم بأفضل بركاتك ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته» . أنّه من قرأ هذه الصلوات سبع مرّات ، فإن الله يردّ عليه بعدد كل عبد حسنة ، وعمله مقبول يوم القيامة ، ويأتي يوم القيامة وبين عينيه نور[2] .

١٠ ـ روى أنه من قال بعد صلاة الصبّح والظهر : «اللهم صلّ على محمد وآله محمد وعجل فرجهم» فإنّه لا يموت إلاّ ويدرك القائم من آل محمد (عليهم السلام) [3] .

أما الروايات الواردة في باب حسن الخلق ، فهي :

الرواية الاولى :

عن أنس بن مالك أنه قال : كنت في محضر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعليه برد بحاشية غليظة خشنة ، فجاءه أعرابي وجرّرداءه بشدّة ، بحيث ظهرت آثار الحاشية على رقبة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ثم قال للنبيّ : يا محمد ، حمّل ناقتيّ ممّا لديك من المال لأنّه مال الله ، لا يخصّك ولا يخص أباك . فسكت النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) ثم قال : «المال مال الله ، وأنا عبد الله» .

ثم قال رسول الله : هل أقاصصك أيها الأعرابي ؟ قال الأعرابي : لا . فقال (صلّى الله عليه وآله وسلم) : لم لا أقاصصك ؟ قال الأعرابي : لأنّه ليس من أخلاقك أن تكافىء السيء بالسيء والقبيح

---

(١) تفسير الشيخ أبو الفتوح الرازي ٤/٤٤٣ .
(٢) عين الحياة للمجلسي ٤١٥ .
(٣) سفينة البحار ٢/٤٩ .

بالقبيح . فتبسّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وأمر أن يحمل حمل شعير علىٰ ناقة له ، وحمل تَمرٍ على ناقته الثانية[1] .

قال المؤلف : إنّما نقلت هذه الرواية في هذا المقام تيمناً وتبركاً ولا لبيان حسن أخلاق النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) أو الأئمة الهداة المهديّين ، لأنّ الذي ذكره الله (تعالىٰ) في القرآن الكريم بالخلق العظيم ، وكتب في سيرته الحميدة وخصاله المجيدة علماء الفريقين فضائل ما أحصوا عشراً من أعشار ما كان عنده وعندهم ، فإنّ قدرهم يجلّ عن كتابتي في شأنهم ، ولقد أجاد من قال :

محمد سيد الكونين والثّقلين	والفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيّين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم وفي كرم
وكلّهم من رسول الله ملتمس	غرفا من البحر أو رشفاً من الدّيم
وهو الذي تَمَّ معناه وصورته	ثُمَّ اصطفاه حبيباً بارىء النّسم
منزّه عن شريك في محاسنه	فجوهر الحسن فيه غير منقسم
فَمَبلَغُ العلم فيه أنّه بشر	وأنّه خير خلق اللَّه كلّهم

الرواية الثانية :

عن عصام بن المصطلق الشامي أنّه قال : دخلت المدينة المنوّرة ، فرأيت الحسين بن عليّ (عليهما السلام) فأعجبني منظره الجميل ومسلكه البديع فغلب عليّ الحسد وجرّني إلى إظهار ما أكنّه من العداوة والبغضاء في صدري لأبيه . فدنوت منه ، وقلت : أأنت ابن أبي تراب ؟ فقال الحسين بن عليّ (عليه السلام) : نعم . فبالغت في سبّه وشتمه ، وشتم أبيه .

فنظر إليّ نظرة عاطف رؤوف ، وقال : أعوذ بالله من الشيطان

---

(١) نفسه ١/٤١٢ مادة خلق .

(٢) نفسه ١/٤١١ .

الـرجيم ، بسم الله الـرحمن الـرحيم **﴿خـذ العفـو وأمـر بـالمعـروف ، وأعرض عن الجاهلين . .﴾** إلى قوله (تعالىٰ) : **﴿ثم لا يُقصِرُونَ﴾**[1] .

وهـذه الآيات تشيـر إلى مكارم الأخـلاق التي أدّب بها الله (تبـارك وتعالىٰ) نبيّه الكريم . ثم قال الحسين (عليه السلام) : «خفّض عليـك ، استغفـر الله لي ولك ، فـإن طلبت عونـاً واعانـه فقد أعنّـاك ، وإن طلبت العـطاء أعطينـاك ، وإن طلبت النُّصحَ نصحنـاك . قال عصـام : فنـدمت على تجـاسري ، وأدرك الحسين ذلـك بكياستـه وفراستـه ، فقـال : **﴿لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين﴾**[2] .

وهذه الآية الشريفة عن لسـان النبيّ يوسف (عليـه السلام) لأخـوته في مـوضـع العفـو عن معصيتهم . فسـألني الحسين بن علي (عليـه السـلام) : أأنت من أهـل الشـام ؟ قلت : نعم . قـال الحسين (عليـه السـلام) : «شِنشِنَةٌ أعـرفها مِن أَخـزمِ » . وهذا مثـل يضرب ، فتمثـل به الحسين (عليه السلام) ويريد به أنّنا تعودّنا المسبّات والشتائم التي تنهـال علينا لأنّها سنّة سنّها معاوية ، ثم قال الحسين (عليه السلام) : «حيّانا الله وإيّاك» فاطلب إلينا ما أنت بحاجة إليه على الرّحب والسّعة فإنّـك تجدنـا بأفضل ما ظننت بنا .

فضـاقت الأرض بي ذرعاً لكـرم أخلاق هـذا السيّد النبيـل مقـابـل تجاسري وشتـائمي ووددت لو أنّ الأرض تشقّقت وابتلعتني ، لاجـرم أني قـد خرجت بهدوء لائذاً بـالنـاس كيـلا يلتفت إليّ الحسين ولا يـراني ، وغـدوت من ذلـك المجلس ولا أجـد أحبَّ اليّ في جميـع النـاس ، من الحسين وأبيه[3] .

قـال المؤلف : أورد الزمخشـري ، صاحب تفسيـر الكشّاف ، في

---

(١) سورة الأعراف : الآيات ؛ ١٩٩ ـ ٢٠٢ .

(٢) سورة يوسف : الآية ؛ ٩٢ .

(٣) سفينة البحار ١/٤٢١ مادة خلق .

ذيل الآية : ﴿لا تثريب عليكم اليوم . . .﴾ التي تمثل بها الحسين (عليه السلام) رواية عن حسن خلق يوسف الصدّيق يناسب ذكرها المقام ، وهي : بعد أن عرف إخوة يوسف أخاهم يوسف (عليه السلام)، بعثوا إليه بمقالهم هذا : إنّك تدعونا إلى مائدتك في الغداة والعشيّ ، ونحن نستحي منك لما صدر منّا من خلاف ومعصية في حقّك .

فقال يوسف (عليه السلام) لماذا تخجلون ، وقد جلبتم لي العزّ والشرف ، لأنّي وأن أحكم شعب مصر ، ولكنّهم ينظرون إليّ كما كانوا ينظرون منذ دخولي مصر ، ويقولون : «سبحان من بلغ عبداً بِيعَ بعشرين درهماً ، ما بلغ» . وقد بلغت بكم الشرف والذروة وكبرت في القلوب والعيون ، لأنهم عرفوكم إخواني ، وأدركوا بأني لست عبداً كما تصوّروا ، ولكنّي من ذريّة إبراهيم الخليل (عليه السلام)[1] .

كما روى أنه لما التقى يعقوب بيوسف ، سأل الوالد ابنه : ماذا بلغ بك يا بنيّ ؟ فقال يوسف : دع عنك ما فعل بي إخوتي ، وسل عمّا فعل الله بي .

الرواية الثالثة :

روى الشيخ المفيد وغيره أنّه كان بالمدينة رجل يؤذي الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وكان كلّما رأى الإمام يشتمه ويسّب جدّه عليّاً أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فاستأذن أحد أصحاب الإمام أن يقتل هذا الفاجر ، فنهاه الإمام نهياً شديداً وزجره ، ثم سأل الإمام عن شاتمه ، فقيل له بأنه يشتغل بالزراعة في ناحية من نواحي المدينة وضواحيها ، فركب الإمام وسار للقائه وزيارته ، وكان الرجل في مزرعته آنئذ ، ودخل الإمام وهو راكب حماره المزرعة ، فصاح به الرّجل أن لا تدوس الزرع ولا تقدم من هناك . وسار الإمام كما كان يسير إلى أن وصل إليه ، وجلس إلى جانبه ، وحادثه بطلاقة وجهه وبشاشة خلقه

(١) نفسه .

وسأله عمّا أنفق على زرعه ، فأجاب أنّه أنفق مائة دينار . فسأله الإمام عمّا يرجو أن يناله من الربح . قال الرجل : لا أعلم الغيب . قال الإمام : سألتك عمّا ترجوه قال الرجل : أرجو أن أنتفع مائتي دينار .

فأخرج الإمام كيساً فيه ثلاثمائة دينار وأعطاه أيّاه ، وقال : خذ هذا ، والزرّع باق لك ، والله يرزقك وما ترجوه وتأمله . فقام الرجل وقبّل رأس الإمام وتوسّل إليه أن يصفح عنه وعن زلّته ، وتبسّم الإمام ورجع إلى المدينة ، فكان كلّما أبصر الرجل الإمام في المسجد ، قال : ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[1] . فقال له أصحابه : لقد كنت ترى غير هذا ، وتقول غير الذي قلت ، وسألوه عمّا جرى وحدث له . فقال : لقد سمعتم ما قلته ، واسمعوا ما أقوله ، وشرع بالدعاء للإمام (عليه السلام) ، فخاصمه أصحابه ، وخاصمهم ، وتخاصموا . فقال الإمام لأصحابه : أيّهما أفضل ؟ ما أردتموه ، أو ما أردته وفعلته ؟ فانّي قد أصلحت الرجل بقدر من المال ، كفيت بذلك شرّه[2] .

وأمّا الحكايات في حسن الخلق :

الحكاية الاولى :

روى أنّ مالكاً الأشتر (رحمة الله عليه) كان يسير ذات يوم في سوق الكوفة وقد لبس ثوباً من القماش الخام وتعمّم بعمامة من خام أيضاً ، فنظر إليه سوقيّ من السوقة ، لا يعرفه ، نظرة احتقار واستهزاء واستخفاف ، ورماه ببندقة وهي كرة صغيرة من طين ، فاجتازه مالك ولم يُنبس بشيء فقيل له : هل علمت الرّجل ، وبمن استهزأتَ ، ومن أهَنتَ ؟ قال : لا . فقالوا له : أنّه مالك الأشتر ، حبيب أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) .

ففزع الرجل وارتجف ، ثم تعقّب مالكاً ليجده ويطلب منه العفو ،

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٢٤ .

(٢) بحار الأنوار ٤٨/١٠٢ ح ٧ .

فوجد مالكاً يصلّي في مسجد .

ولما فرغ مالك من صلاته ، وقع الرجل على يديه ورجليه ليقبّلها ، فسأله مالك عن أمره . فقال الرجل : لقد تجاسرت عليك ولم أعرفك . قال مالك : لا بأس عليك ، فوالله ما دخلت المسجد إلاّ لاستغفر الله لك وأطلب منه المغفرة لأجلك[1] .

قال المؤلف : لاحظ كيف اكتسب هذا الرجل ، وهو من أمراء جيش عليّ ، الأخلاق الكريمة من أمير المؤمنين ، بشجاعته وشوكته لدرجة قال فيه ابن أبي الحديد : لو أقسم أحد أنّه ليس في العرب ولا في العجم أشجع من مالك الاشتر إلاّ استاذه أمير المؤمنين ، فلا إخاله قد كذب .

وماذا أقول في رجل هزم حياته أهل الشام ، ومماته أهل العراق ، وفي حقّه قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : كان مالك لي ، كما كنت لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ويا ليت لي فيكم اثنين مثله ، بل ويا ليت لي فيكم واحد مثله . وتأمّل ـ أيّها القارىء ـ في هذه الأبيات ، لتتبّين شوكته وعظمته :

بَقَيّتُ وفري وانحرفت عن العُلىَ ... ولقيت أضيافي بوجه عَبُوسِ
إن لم أشُن على ابنِ هندٍ غارةً ... لَم تُخلِ يوماً من نِهابِ نُفوسِ
خيلاً كأمثالِ السَّعالِي شُزَّبا ... تَغدُو ببيضٍ في الكَريهةِ شُوسِ
حَمِيَ الحديدُ ، عَليهِمُ فَكأنَّهُ ... وَمضانُ برقٍ أو شُعاعُ شُمُوسِ[2]

ومجمل القول ، فإنّ الرجل المؤمن مالكاً هذا كان على علّو مقامه وجلالته وشوكته ومهابته ، حسن الخلق رفيعه إلى درجة لا يتغيّر حاله لاستهزاء سوقيّ به واهانته له ، بل يدخل المسجد ليصلّي ، فيدعو له

(١) سفينة البحار ١ /٦٨٦ مادة شتر .

(٢) نفسه ١ /٦٨٧ مادة شتر .

ويستغفر الله عمّا ارتكبه . ولو أنعمنا النظر لأدركنا أن شجاعته في كَبتِ هَوَى نفسه ، أعظم من شجاعته في الجسم والجسد ، ولقد قال أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) : «أشجع الناس من غلب هواه» .

الحكاية الثانية :

نقل المرحوم الشيخ في خاتمة المستدرك ، في ترجمة سلطان العلماء والمحققين ، وأفضل الحكماء والمتكلمين ، الوزير الأعظم ، أستاذ من تأخّر وتقدّم ، ذي الفيض القدسي ، نصير الدين الطوسي (قُدِّس سِرُّه) أنه تسلّم رسالة من رجل ملؤها الشتيمة والسّباب ، ومن قبيح ما ذكره في كتابه هو أن قال له : (يا كلبُ ابنُ الكلب) .

فلما قرأ المحقق الرسالة ، أجاب بوقار ورزانة ، وعبارات حسنة متينة ، دون أن يأتي بكلمة رديئة وذكر قبيح ، وممّا جاء في كتابه هو : «أمّا أن خاطبتني بالكلب ، فهذا غير صحيح ، لأن الكلب يمشي على أربعة وله أظافر طويلة ، وأنا منتصب القامة ، ظاهر البشرة بخلاف ما للكلب من شعر طويل ومخالب ، وكما أنّي ناطق ضاحك ، فخواصيّ تختلف عن خواصّ الكلب وفصوله . . . وهكذا أجابه ، وجعله في مهانة غيابة الجّب»[1] .

قال المؤلف : انّ هذا الخلق الرفيع لا يستبعد من محقق جليل كهذا ، وهو من قال في حقه آية الله العلاّمة الحلّي (رضوان الله عليه) أنه كان أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية ، وصنّف كتباً كثيرة جليلة في العلم والحكمة والأحكام الشرعية على مذهب الإماميّة ، وكان أشرف الأعاظم الذين التقينا بهم في الآفاق ، أخلاقاً .

إقتبس نصير الدين الطوسي الأخلاق الحميدة من تعاليم الأئمة وأعمالهم (صلوات الله عليهم أجمعين) أما سمعت أنّ أمير المؤمنين

---

(١) نفسه ١/٤٢٢ .

(عليه السلام) نهى قنبر عن ردّ من سبّه ؟ فقد سمع أمير المؤمنين رجلاً يسبّ قنبر ، وهمّ قنبر ردّ سبابه ، فنادى الإمام قنبر قائلاً : «مهلاً يا قنبر ، دع الشاتم يذلّ ، فانك بصمتك ، تسرّ الرحمان ، وتغضب الشيطان ، وتعذّب عدوّك ، فوالله الذي فلق الحبّ وخلق الخلق ، ما يسرّ الله مؤمن بشيء كالحلم ، وما يغضب الشيطان بشيء كالصمّت ، وما يعذب أحمق شيء كالسّكوت في جوابه» .

ومجمل القول فإن الموالين والمناوئين يمدحون نصير الدين الطوسيّ . ذكر جرجي زيدان في كتابه (آداب اللغة العربية) في ترجمة الطوسي : أنّه اتخذ مكتبة ملأها بالكتب ، فاق عدد كتبها أربعمائة الف مجلد وأقام المنجمين والفلاسفة ، ووقف عليها الأوقاف ، فزها العلم في بلاد المغول على يد هذا الفارسي كأنه قَبَسٌ منير في ظلمة مدلهمّة .

وقد دوّنتُ ترجمة هذا العظيم في كتاب الفوائد الرضوية بقدر ما يناسب الكتاب والمجال ، وسجّلت أنه كان من قرية (وشارة) أصلاً ، من توابع (جَهرُودَ) على بُعد عشرة فراسخ من مدينة (قم المقدسة) في محافظة طهران بإيران ، إلا أنه ولد في مدينة طوس بخراسان إيران في الحادي من شهر جمادي الأولى سنة خمسمائة وسبع وتسعين هجرية وتوفي يوم الاثنين في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ستمائة واثنتين وسبعين للهجرة ، ودفن في البقعة المنوّرة بالكاظمية على ساكنيها (سلام الله) ، وقد كتبوا على مزاره : ﴿**وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد**﴾[1] .

الحكاية الثالثة :

روي أنّ شيخ الفقهاء العظام ، المرحوم الحاج شيخ جعفر ، صاحب كشف الغطاء (رضوان الله عليه) وزّع مبلغا من المال على الفقراء في اصفهان قبل أن يبدأ صلاته ، ثم شرع الصلاة ، فجاءه سيّد من فقراء السادة ، كان قد تأخّر عن غيره في الحضور . فلمّا أنهى الشيخ

---

(١) سورة الكهف : الآية ؛ ١٨ .

صلاته الأولى ، قال له السيّد : أعطني من مال جدّي رسول الله (وهو الخمس) . قال له الشيخ : تأخّرت عن الحضور ولم يبق لديّ ما أسعفك به . فغضب السيّد وتفل على الشيخ ووقعت التفلة على لحية الشيخ . فقام الشيخ من محراب الصلاة ، ورفع طرف ثوبه ، ومشى بين صفوف الجالسين في صلاة الجماعة ، قائلاً : (من أحبّ ذَقنَ الشيخ ، فَليُغنِ السيّدَ) . فملأ المصلّون ثوبه بالدّراهم ، وقدّم الشيخ ما جمعه من الناس للسيّد ، ثم وقف ليصلّي بهم صلاة العصر .

لاحظ مبلغ هذه الأخلاق الكريمة عند هذا العظيم الذي حاز رئاسة المسلمين ، وهو حجة الإسلام وفقيه آل البيت (عليهم السلام) وقد بلغ في الفقه أن صنّف كتاب كشف الغطاء في سفره ، وروي عنه أنّه قال : (لو مسحتم كتب الفقه جميعها غسلاً بالماء ، لكتبت الفقه من باب الطهارة إلى باب الدّيات) .

وسلك أبناؤه أيضاً طريق العلم ومسلك الفقهاء ، فبلغوا مبلغ جلّة الفقهاء والعلماء .

قال شيخنا النوّري ثقة الإسلام (رحمة الله عليه) في أحوال الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، أنّه من تدبّر في أمر هذا الرجل ، لوجده من الذين وصفهم أمير المؤمنين وصف المؤمنين ، إذ كان الشيخ هذا يراعي سنن الدّين وآداب الإسلام ، وكان يناجي ربّه في الاسحار باكياً متذللاً ، ويخاطب نفسه ، ويقول : كنتَ جعيفراً فصرتَ جعفراً وتقدمت فصِرتَ شيخ العراق ، وارتقيتَ فصِرتَ رئيس المسلمين ، فلا تنس موضعك بادىء أمرك وما كنت فيه قبل تقدّمك وارتقائك .

وقد وصف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه لأحنف بن قيس بعد مقاتلته لأهل الجَمَلِ وصفاً مطوّلاً نقل المؤلف بعض فقراته ، وإليك تلك الفقرات : « . . . فلو رأيتهم في ليلتهم ، وقد نامت العيون ، وهدأت الأصوات وسكنت الحركات من الطير في الوكور ، وقد نَهَتهم

هول يوم القيامة والوعيد عن الرُّقاد ، كما قال سبحانه : ﴿**أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون**﴾[1] ، فاستيقظوا لها فزعين ، وقاموا إلى صلواتهم معولين ، باكين تارة ، وأُخرى مسبّحين ، يبكون في محاريبهم ويرنّون ، يصطفون ليلة ، مظلمة بهماءَ يبكون ، فلو رأيتهم يا أحنف في ليلتهم قياماً على أطرافهم ، منحنية ظهورهم ، يتلون أجزاء القرآن لصلاتهم ، قد اشتدّت أعوالهم ونحيبهم وزفيرهم ، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم ، وإذا أعولوا ، حسبت السّلاسل قد صفدت في أعناقهم . فلو رأيتهم في نهارهم ، إذا لرأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً ويقولون للناس حسناً ، ﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون ، قالوا : سلاماً ، وإذا مرّوا باللّغو كراماً**﴾[2] ، قد قيّدوا أقدامهم من التُّهَمَاتِ ، وأَبكَمِوا ألسنتهم أن يتكلموا في أعراض الناس ، وسجموا أسماعهم أن يلجها خوض خائض ، وكحلوا أبصارهم بغضّ البصر عن المعاصي ، وانتحوا دار السلام التي من دخلها كان آمناً من الرِّيبِ والأحزان[3] .

أقول : وهنا يناسب نقل كلام من راهب ، وهو ما نقل عن قثم الزاهد ، قال : رأيت راهباً على باب بيت المقدس كَالوَالِـهِ . فقلت له : أوصني . فقال : كن رجلاً احتَوَشَتُه السّباع فهو خائف مذعور يخاف أن يسهو فتفترسه ، ويلهو فتنهشه ، فليله ليل مخافة إذا أمن فيه المفترون ، ونهاره نهار حزن إذا فرِح فيه البَطَّالونَ ثمّ انّه وليّ وتركني . فقلت له زدني . قال : الظمآن يَقنَعُ بيسيرِ الماء[4] .

الحكاية الرابعة :

روي أنّ كافِيَ الكفاة الصَّاحبَ بن عبّادٍ طلب ، ذات يوم ، شراباً ،

---

(١) سورة الأعراف : الآية ؛ ٩٧ .

(٢) سورة الفرقان : الآيات ؛ ٦٣ ، ٧٢ .

(٣) سفينة البحار ١/ ١٦٠ .

(٤) كشكول شيخ بهائي ١/ ٩٩ .

فاحضر له غلام من غلمانه قدحاً من الشراب ، وقدمّه إليه . ولمّا أراد أن يشربه ، قال له أحد خواصّه : لا تشرب الشراب لأنه مخلوط بالسّم ، وكان الغلام الذي أحضر الشراب واقفاً . قال الصاحب : وما دليلك على صحّة ما تدّعيه ؟ قال : جرّب الشراب واسقه من ناولك . قال الصاحب : لا يجوز ذلك لأنه عمل حرام . قال : فدع طائراً يشربه حتى يتبيّن لك . قال الصاحب : ولا يجوز لي أن أضرّ حيواناً .

ثم ردّ القدح وأمر بأن يصبّ الشراب على الأرض ، وقال للغلام : ابتعد عنّي ، ولا تدخل بيتي ، لكنّه لم يقطع راتبه ، وقال : لا يجوز دفع اليقين بالشكّ وأَبى العِقابَ بقطعِ رِزقِ أحدٍ ، فإنه يخالف المروءة والإنسانية[1] .

قال المؤلف : كان الصاحب بن عبّاد وزير البويهيّين ، وملجأ الخاصّة والعامّة ، ومرجع الشعب والحكومة ومن بيت عزّ وشرف وكرامة ، وهو الذي كان في العلم والأدب والفضل والكمال والعربية اعجوبة الدهر ووحيد عصره وزمانه .

فقد روى أنّه إذا جلس للإلقاء والاملاء ، كان يجتمع إليه خلق كثير للإستفادة والإفادة منه ، لدرجة كان له من المُستَملينَ ستةُ أشخاصٍ يُسمعون كلامَه الآخرين ، وكان في حيازته من كتب اللغة ما يُحمَل على ستّين بعيراً ، وكان للعلويّين والسادة والعلماء والفضلاء عنده موضع رفيع ورتبة ممتازة ، يشجّع العلماء بالتأليف والتصنيف وله ألّفَ الشيخ الفاضل الخيّر الماهر حسن بن محمد القميّ كتاب (تاريخ مدينة قم) ، وصنّف له الشيخ الأجلّ ، رئيس المحدّثين الصدوق (رحمة الله عليه) كتاب (عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، وجمع له الثعالبيّ كتاب (يتيمة الدهر) .

أمّا إحسانه للعلماء وأفضاله على الفقهاء والسادة والشعراء فمعروف عند الجميع ، إذ كان يرسل خمسة الآف دينار سنويّاً إلى فقهاء بغداد ،

---

(١) سفينة البحار ٢ / ١٤ مادة صحب .

وإذا دخل عليه أحد في عصر أيام رمضان ، فلا يدعه يخرج إلاَّ أن يُفـطِرَ عنده وفي بيته ، وعليـه فكان بيتـه لا يخلو من ألف صائم يُفـطِر عنده في كل ليلة ، وكانت صدقاتـه وعطايـاه في هذا الشهـر تعادل جميـع صِلاتِـه وعطاياه طوال السنة للنّاس ، وشعره في مناقب أمير المؤمنين عليّ (عليـه السلام) ومثالب مناوئيه كثيـر ، وقد تـوفي في الرابـع والعشرين من شهـر صفر من سنة ثلاثمائة وخمس وثمانين في رحلة بالرّيّ ، وحُمِـل جثمانـه إلى اصفهان ، وقبره معروف يزار في اصفهان .

* * *

فصل

الحساب

ومن المواقف المهولة ، موقف الحساب . قال الله (تعالىٰ) : ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**﴾[1] وقال أيضاً : ﴿**وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربّها ورسله ، فحاسبناها حساباً شديداً**﴾[2] .

ويجدر بنا هنا أن نتبرك بذكر بعض الأخبار :

الأول : روى الشيخ الصدوق (رحمة الله عليه) عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) أنه قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «لا تتحرّك قدما عبد من عباد الله ، إلاّ وأن يسأل عن أربعة : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم قضاه ، وعن ماله من أين وجده ، وفيم صرفه ، وعن محبّتنا نحن أهل البيت»[3] .

الثاني : روى الشيخ الطوسي (رحمة الله عليه) عن الإمام إلباقر (عليه السلام) أنه قال : «أول ما يحاسب عنه العبد ، الصّلاة ، ان قبلت

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ؛ ١ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ؛ ٨ .

(٣) بحار الأنوار ٢٥٨/٧ ، ح ١ .

قبل ما سواها»[1] .

الثالث : روى الشيخ الصّدوق أنّ الدّائن يأتي يوم القيامة ، ويشتكي ، فإذا كان للمدين حسنات ، تؤخذ منه للدائن ، وان لم تكن له حسنات ، فتؤخذ من معاصي الدائن وتضاف إلى معاصي المدين[2] .

الرابع : روى الشيخ الكليني عن الإمام زين العابدين ، علي بن الحسين (عليه السلام) : «أنّ الموازين لا تنصب والدواوين لا تنشر إلاّ لأهل الإسلام ، أمّا المشركون فانّهم يدخلون جهنّم أفواجاً دون حساب ولا ميزان»[3] .

الخامس : روى الشيخ الصّدوق عن الصادق (عليه السلام) : «إذا قامت القيامة ، يقف مؤمنان للحساب ، وكلاهما من أهل الجنّة ، أحدهما فقير والآخر غنّي ، فيقول الفقير : ربّ لِمَ أوقفتني فوعزتك لتعلمنّ أنّك ما ولّيتني حكماً لأعدل فيه أو أظلم ، وما وهبت لي مالاً كثيراً لتستوجب حقّاً منه دفعته أو امتنعت عن ذلك ، ورزقتني قدر الكفاف على تقديرك وعلمك بما يكفيني . فيقول الله (تعالىٰ) : صدق عبدي المؤمن هذا ، ذروه يدخل الجنّة .

أما المؤمن الغني فانّه يوقف حتى يسيل منه العرق ما يكفي لارواء أربعين بعيراً ، ثم يدخل الجنّة . فيقول له الفقير : ما أوقفك ؟ فيجيب : طول الحساب ، فقد كانت تبدو معصية تلو الأُخرى ، ويعفو الله عن جرمي ، إلى أن أحاطني برحمته ، والحقني بالتّوابين ، فمن أنت ؟ ويقول المؤمن الفقير : أنا ذلك الفقير الذي

---

(1) نفسه ٧/٢٦٧ وروضة المتقين ٢/٣٨ .

(2) نفسه ٧/٢٧٤ ، ح ٤٦ .

(3) نفسه ٧/٢٥٠ ، ح ٨ .

حُشِرتُ معك . يقول المؤمن الغني : لقد غيّرك نعيم الجنّة بحيث لم أعرفك»[1] .

السادس : روى الشيخ الطوسي عن الصادق (عليه السلام) أنه : «إذا قامت القيامة وكلّ الله إلينا أمر محاسبة شيعتنا ، فما كان لله ، نسأل الله (تعالىٰ) أن يغفر لهم لشفاعتنا ، وما كان لنا ، نصفح عنه أيضاً ، ثم تلا هذه الآية الشريفة : ﴿**إنّ إلينا إيابهم ، ثم إنّ علينا حسابهم**﴾[2] .

السابع : روى الشيخ الكليني عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنّه قال : «إنّ الله (تبارك وتعالىٰ) يحاسب عباده يوم القيامة حساباً دقيقاً بقدر ما وهب له من العقل» [3] .

وجاء بخطّ الشيخ الشهيد (عليه الرحمة) أنّ أحمد بن أبي الحواري ، قال : تمنيّت أن أرى في منامي الشيخ أبا سليمان الداراني ، عبد الرحمن بن عطيّة . الزاهد الشهير ، المتوفي في قرية داريا من قرى دمشق سنة مائتين وخمس وثلاثين هجرية ، ودفن بها كما جاء في معجم البلدان للياقوت ، وأحمد بن أبي الحواري هذا كان من أصحاب الداراني[4] .

قال : فرأيته في منامي بعد سنة ، وقلت له : أيها المعلّم ، ما فعل الله بك ، فقال : يا أحمد ، لمّا دخلت من الباب الصغير ، وجدت بعيراً محمّلاً بالشيح ، فأخذت من الشيح عودة ولا أتذكر هل أني تخلّلت أسناني بها ، أم لا ؟ وطرحتها وأنا الآن أحاسب عليها منذ سنة [5] .

---

(١) نفسه ٧/٢٥٩ .

(٢) نفسه ٧/٢٦٥ ، القرآن سورة الغاشية : الآيتان ؛ ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) نفسه ٧/٢٦٧ ، ح ٣٢ .

(٤) معجم البلدان لياقوت الرومي تحت لفظة داريا (من قرى دمشق) .

(٥) سفينة البحار مادة حسب (محاسبة النفس) .

قال المؤلف : لا نستبعد هذه الحكاية ، وتؤيّدها الآية الشريفة : ﴿يا بنيّ إنها إن تك مثقال حبّة من خردل ، فتكن في صخرة ، أوفي السموات أو في الأرض ، يأت بها الله﴾[1] كما يؤيدها ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في احدى خطبه : « . . . أليست النفوس عن مثقال حبة من خردل مسؤولة ؟»[2] ، وكتب الإمام في خطاب له إلى محمد بن أبي بكر : « . . . واعلموا عباد الله ، أن الله عزّ وجلّ سائلكم عن الصغير من عملكم والكبير»[3] وفي كتاب له إلى ابن عباس قال : « . . . أما تخاف نقاش الحساب»[4] وأصل النقاش من نقش الشوكة : أي اخراج الشوكة ـ يريد بذلك : كما أن الشوكة الصغيرة الدقيقة إذا دخلت في جلد الإنسان ، فيستصعب إخراجها إلاّ بالبحث عنها والدقة في إخراجها حتى تخرج بشقّ الأنفس ، كذلك يحاسب الإنسان حساباً عسيراً .

واعلم أن بعض المحققين قد قال : لا ينجو من مخاطر الحساب ودقائق الميزان إلاّ من حاسب نفسه في الدنيا واختبر شخصه بميزان الشرع الإسلامي وكذلك أعماله وأقواله وأفعاله وحسناته وسيئاته ولحظاته وحركاته وسكناته ، فقد قالوا : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[5] .

الحكاية :

كان رجل يدعي ثوبة بن الصّمة ، فقد روي أنّه كان يحاسب نفسه في أكثر أوقاته ، ليلاً أو نهاراً . فحسب يوماً ما مضى من عمره ، فوجد أنّه قد جاوز الستين ، وعدّ أيام هذه السنين ، فوجدها بلغت واحداً وعشرين ألفاً وخمسمائة يوم . فقال : يا ويلي على نفسي سألقى ربّي

---

(١) سورة لقمان : الآية ؛ ١٦ .
(٢) نهج البلاغة .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه .
(٥) نفسه .

ومالك رقّي ، بواحد وعشرين ألفاً وخمسمائة خلاف ومعصية ، وسقط على الأرض مغشيّاً ، ومات في تلك الحالة[1] .

قال الفقير إلى رحمة ربّه : روي أنه نزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) مع أصحابه في أرض بور لا زَرعَ فيها ، فقال لاصحابه : ابحثوا عن الحطب ، وائتوني به . فقال أصحابه : يا رسول الله ، نحن في أرض جدباء . لا حطب فيها . فقال : فليحضر كلّ واحد ما أمكنه . فأتوا بحطب ووضعوه أمام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

لمّا اجتمع الحطب ، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «تجمع المعاصي ، كما جمع الحطب»[2] . فتبيّن أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) أراد أن ينبّه أصحابه باجتماع المعاصي على صغرها وأنها تنمو وتتكاثر وتتكدّس ، كما جمع الحطب على انعدامه أو ضآلته في ذلك البرّ وتلك الصحراء ولذلك رأينا ثوبة بن الصّمة قد افترض معصيته عن كل يوم من أيام عمره ، فبلغ مجموع معاصيه المفترضة واحداً وعشرين ألفاً وخمسمائة معصية .

---

(١) سفينة البحار ، ج ١ ، مادة ذنب .

(٢) الوسائل ١١/٢٤٥ ، ح ٣ .

فصل

موقف تسليم صحيفة الأعمال

من مواقف القيامة المهولة موقف تسليم قائمة الأعمال لأصحابها . لقد وصف الله (تبارك وتعالىٰ) القيامة ، وقال : **﴿وإذا الصحف نشرت﴾**(1) .

قال علي بن إبراهيم والغرض من الصحف هو صحائف الأعمال ، كما قال الله (تعالىٰ) : **﴿فأمّا من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً . وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعوا ثبوراً ، ويصلىٰ سعيراً . . ﴾**(2) .

روى العيّاشي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه : «إذا قامت القيامة تعطى لكل واحد قائمة أعماله ، ويقال له : اقرأ ، ويذكّره الله جميع أعماله بالنظر إلى تلك الصحيفة ، وكذلك جميع أقواله ، وخطواته وغيرها وكأنّه قالها وفعلها وخطاها في الحال ، فيقولون : **﴿يا ويلتنا ، ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها﴾**(3) . . » .

روى ابن قولوية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه : «من زار قبر

(1) سورة التكوير : الآية ؛ ١٠ .

(2) سورة الانشقاق : الآيات ؛ ٨ ـ ١٢ .

(3) سورة الكهف : الآية ؛ ٤٩ وبحار الأنوار ٣١٤/٧ ، ح ٩ .

الحسين (عليه السلام) في شهر رمضان ، ومات في سفر زيارته للحسين (عليه السلام) فلا يتعرّض لأمر أو حساب . ويقال له : ادخل الجنة لا خوف عليك» .

قال العلاّمة المجلسي (رحمة الله عليه) في تحفته ، نقلاً عن الإمام الرضا (عليه السلام) بسندين موثقين أنه : «من زارني على بعد قبري ، أتيته في مواطن ثلاثة ، يوم القيامة ، لأنقذه من أهوالها . عند تطائر كتب المحسنين إلى يمينهم ، وصحائف المجرمين إلى شمالهم ، وعلى الصّراط ، وعلى الميزان»[1] .

وجاء في كتاب (حق اليقين) أنّه روى الحسين بن سعيد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في كتاب (الزّهد) : «إذا أراد الله أن يحاسب مؤمناً ، أعطاه كتابه بيمينه ، ويحاسبه فيما بينه وبينه دون أن يطلّع على حسابه أحد ، ويقول له : عبدي ، لقد فعلت كذا وكذا ، فيجيب العبد : إلهي ، لقد فعلته . ويقول الله (تعالىٰ) : غفرت لك وبدّلته إلى حسنات . فيقول الناس : سبحان الله ! إنّ هذا العبد لم يقترف ذنباً ، ولم يرتكب قبيحاً ، وهذا معنى قوله (تعالىٰ) : **﴿فأمّا من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسبه حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً﴾**[2] فسأل الرّاوي : أيُّ أهل يُقصَدُ بهذا الأهل ؟ هل يصحب المؤمن أهله الذين كانوا معه في الدنيا ؟ قال الصادق (عليه السلام) : إذا أراد الله بعبد سوءاً حاسبه جهراً أمام الخلائق وأتمّ عليه حجّته واعطاه كتابه إلى شماله ، كما قال الله (تعالىٰ) : **﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبوراً ويصلىٰ سعيراً إنه كان في أهله مسروراً﴾** ـ يعني في الدنيا ـ ، **﴿أنّه ظنّ أنّ لن يحور﴾**[3] يعني ظنّ أنه لن يعود[4]ـ وهذا يشير إلى أن أيدي الكفّار والمنافقين تغلّ وتقيّد وتسلّم صحائفهم إلى شمالهم ، وإلى هاتين

---

(١) بحار الأنوار ١٠٢/٣٤ .

(٢ و ٣) سورة الانشقاق : الآيات : ٧ ـ ١٤ .

(٤) نفسه ٧/٣٢٥ .

الحالتين أشير في أدعية الوضوء عند غسل اليدين : «اللّهم أعطني كتابي بيميني وخلودي في الجنة بشمالي ، وحاسبني حساباً يسيراً ، ولا تعطني كتابي عن شمالي ولا وراء ظهري ، ولا تغلّ يدي إلى عنقي» (انتهى) .

قال المؤلف : أرى المقام يناسب لأتبرّك بذكر رواية في هذا المجال .

روى السيّد ابن طاووس خبراً مفاده هو : كان إذا حضر شهر رمضان ، لا يضرب الإمام زين العابدين خدمه وجواريه ، فإذا ما ارتكب أحدهم خطأ ، سجّله في ورقة أمام اسم الغلام أو الجارية وذكر تاريخ اليوم ونوع الغلطة دون أن يوبّخه . وكان يجمع الأخطاء في دفتره إلى آخر شهر رمضان . وفي هذه الليلة ، كان يجمعهم حوله ، ثم يخرج الكتاب وفيه أخطاؤهم وتقصيراتهم ويناديهم واحداً واحداً . يا فلان ! هذه أخطاؤك التي ارتكبتها ، وما وبّختُك عليها ، فيقول : نعم ، يابن رسول الله ، فيذكّرهم بها ، ويعترف كلّ واحد منهم بما فعل ، فيتوسّطهم ويقول : ارفعوا أصواتكم ، وقولوا : يا علي بن الحسين ، لقد ثبت الله أعمالك ، كما ثبتّ أعمالنا ، وعدّ أعمالك ، كما عددت أعمالنا ، وعند الله كتاب ينطق بالحقّ ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا ثبتها وضبطها ، تجد ما فعلت من أمر محضراً فيه مسجّلاً ، كما وجدنا محضرة عندك ، فاعف عنّا كما تحبّ أن يغفر لك ويتجافى عنك ، وتذكّر يا علي بن الحسين مذلتك أمام الله الحاكم العادل الذي لا يظلم بمقدار حبّة من خردل ، فاعف عنّا ليعفو عنك العفوّ الغفور ويتجاوز عنك ، وهو القائل : ﴿ . . . **وليعفو ، وليصفحوا ، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم** . . ﴾[1] .

وما زال الإمام يلقّنهم بهذه الكلمات والعبارات ، وهم ينادون الإمام ويقولون له ، وهو واقف بينهم يندب ويبكي ويقول : ربّنا انّك

---

(١) سورة النور : الآية ؛ ٢٢ .

أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، فعفونا ، فاعف عنّا ، فإنّك أولى بالعفو منّا ، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً فأتيناك سائلين ، نرجو احسانك ، فامنن علينا ، ولا تخيّبنا ، وهكذا كان يقول ويردّد ، وينظر إلى غلمانه وجواريه ويقول : لقد عفوت عنكم ، فهل عفوتم عنّي لما صَدَر عنّي من سوء ، لأنّي مالك ظالم ، ومملوك لمالك كريم جواد عادل محسن متفضّلٍ . ويقول غلمانه وجواريه : عفونا عنك يا سيّدنا . إنّك لم تفعل بنا سوءاً . فيقول لهم : قولوا : اللهم اغفر لعلي بن الحسين وتجاوز عنه كما عفا عنّا ، وأعتقه من النار ، كما أعتقنا من نير العبودية ، فكانوا يقولون : وهو يقول : اللهم آمين ربّ العالمين ، اذهبوا فقد عفوت عنكم ، وأعتقت رقابكم رجاء العفو عنّي ، وعتق رقبتي .

فلمّا كان العيد ، وصلهم بمقدار ما يحفظهم ، ويغنيهم عمّا في أيدي الناس . فما من سنة إلا وكان يعتق في آخر ليلة من شهر رمضان عشرين شخصاً أو أقلّ أو أكثر من ذلك . ويقول : أنّ الله (تعالىٰ) يعتق في كل ليلة من رمضان ، عند الأفطار سبعين ألف ألف شخص من نار جهنم ، وفي آخر ليلة منه يعتق بقدر ما اعتق في جميع لياليه ، وكلهم يستحقون النار والعذاب ، فأحبّ أن يراني الله (تعالىٰ) وقد أعتقت ما عندي في الدنيا رجاء رحمته وليعتقني من نار جهنم»[1] .

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/١٠٣ ـ ١٠٥ .

فصل

الصّراط

من المواقف المهولة في الآخرة ، هو الصّراط ، وهو جسر ممدود على جهنم ، لا يدخل الجنّة إلّا من اجتازه . وجاء في الروايات أنّه أدق من الشعرة وأحدّ من السيف وأصلىٰ من النار . يعبره خالص المؤمنين براحة كالبرق الخاطف ، وبعضهم يعبره بصعوبة لكنه يجتازه وينجو بنفسه . وبعض المارة يسقطون في جهنم من بعض عقبات الصراط . وهو نموذج من صراط الدنيا المستقيم حيث الدّين الحقّ وطريق الولاية ، ومتابعة أمير المؤمنين وذريته الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) فَمن مالَ عن هذا الصراط الدنيوي وعدل عنه إلى الباطل قولاً أو عملاً . فقد ارْتَجَفَ من عقبة صراط الآخرة وسقط إلى الجحيم ، والصراط المستقيم الذي تجده في سورة الحمد في القرآن الكريم يشير إلى صراط الدنيا وصراط الآخرة كليهما[1] .

روى المجلسي (رحمة الله عليه) في كتاب (الحق اليقين) نقلاً عن كتاب (العقائد) للشيخ الصّدوق (رحمه الله تعالىٰ) أنّه قال : أنّنا نعتقد أنّ كلّ عقبة من العقبات التي تعترض سبيل المحشر هو اسم لفريضة من الفرائض ـ الأوامر منها أو النواهي ـ فإذا وصل الإنسان إلى عقبة مسماة

(١) نفسه ٨/ ٦٤ ـ ٦٩ ـ ٧١ .

باسم فريضة ، وكان مقصّراً في ذلك الواجب ، أوقف في تلك العقبة وطلب منه تأدية حقّ الله (تعالىٰ) بالنسبة لذلك الواجب ، فان استطاع الخروج من تلك العقبة بالأعمال الصالحة التي قدّمها ، أو برحمة من الله تشمله ، فقد خرج واجتاز تلك العقبة بالذات ومدّة التوقيف في كلّ عقبة ألف سنة ، وتتوالى العقبات ، وتتواصل التوقيفات وتنهال الاسئلة والاستنطاق عمّا يعود إلى مسمّى اسم تلك العقبة من الواجب والفريضة ، حتى إذا أجاب عن جميع ما عليه بما يجب من حسن الاجابة ، انتهى من العقبة الأخيرة إلى دار البقاء وسرّح سراحاً جميلاً ، ويحيى حياة خالدة لا موت فيها ولا بوار ، ويسعد سعادة لا شقاء فيها ولا دمار ، ويسكن إلى جوار رحمة ربّه مع النبيّين والحجج والصديقين والشفعاء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً .

أما أنّه إذا استجوب في عقبة من العقبات ، وطلب منه حقّ قصّر في تأديته في الدنيا ، ولم يقدّم عملاً صالحاً يكافىء ذلك التقصير ، ولا تدركه رحمة من الله (تعالىٰ) لينجو من تلك العقبة ، فتزّل قدمه في تلك العقبة ويسقط منها إلى الهاوية والجحيم ، ونعوذ بالله من ذلك الأمر .

وجميع هذه العقبات على الصراط ، تسمّى واحدة منها الولاية ، يتوقف فيها جميع الخلائق ، فيسأل عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرين من بعده ، فإن كان قد أتاها واتّبعها فقد نجا واجتاز هذه العقبة ، وإلاّ فقد هوى إلى الجحيم ، قال (تعالىٰ) : ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾[1] ، وأهم العقبات هي المرصاد : ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾[2] يقول الله (تعالىٰ) : «بعزّتي وجلالي لا يفوتني ظلم ظالم» .

وتسمى عقبة أخرى بعقبة الرّحِم ، وأخرى بالأمانة ، وأُخرى

(١) سورة الصافات : الآية ؛ ٢٤ .

(٢) سورة الفجر : الآية ؛ ١٤

بـالصلاة ، وهكـذا فإنّ لكـل فريضـة أو أمـر من أوامـر الله ، أو نهي من نواهيه ، يوقف المرء ليجيب عمّا هو مسؤول عنه ، انتهى[1] .

روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه حينمـا نزلت هـذه الآية : ﴿وجيء يـومئذ بجهنم . . .﴾[2] ـ سـألوا رسـول الله عن معناهـا ، فقال أخبرني الروح الأمين (جبرائيل) أنّه إذا جمع الله الأولين والآخـرين ، يوم القيـامة يـأتون بجهنّم بـألف عنان يسحبهـا مائـة ألف من الملائكـة شداد غـلاظ ، ولجهنم صياح وصـراخ وضـوضـاء وصخب وضجيـج وأصـوات الكسر والهدم والتحطيم ، ولها شهيق وزفير وصفير تتنفسّ فتحدث صيحة تهلك وتبيد الجميع ، لو لا أن أخّر الله العبـاد لتأديـة الحساب ، فمـا من عبـد من عبـاد الله ، أو ملك من مـلائكتـه ، أو نبيّ من أنبيـائـه ، إلاّ ويقـول : ربّ نفسي نفسي ، أمّا أنت يـا رسول الله فتنـادي وتقول : ربّ أمتي أمتّي أي تستشفـع لأمّتك وتـطلب لهم العـون والمغفـرة والنجـاة ، فيوضع عليهـا الصراط ، أدقّ من الشعـرة ، أحدّ من السيف ، لهـا ثلاث قناطر ، على إحدىٰ قناطرها الأمانة وصلة الرحم ، وعلىٰ الثانية الصلاة ، وعلى الثـالثة عـدل الله (تعالىٰ) ـ أي النـظر في مظالم العبـاد ـ فيكلفـون الناس بعبور الصراط ، فتوقفهم صلة الرّحم والأمانة ، فإذا كان المرء قـد قطع الرّحم أو خان في مال الناس في دنياه ، فإنه لا يجتاز هذه العقبة إلاّ أن يفي مـا عليـه أو يسقط في النـار ، وإذا نجـا من هـذه العقبـة تـوقفـه الصلاة ، وإذا نجا من هذه أيضاً ، فان العدل الإلهيّ يوقفه لمظالم العباد وكـلّ ما أشـار إليه الله (تعـالىٰ) : ﴿إن ربك لبـالمرصـاد﴾ يشير إلى مـا ذكرناه .

فتـرى الناس على الصـراط يسقطون كـالفـراش المبثـوث ، وتـرى آخرين قد تعلقوا بايديهم أو بيد واحـدة أو بارجلهم وهم يمسكـون خوفاً

---

(١) بحار الأنوار ٧/١٢٨ ـ ١٢٩ وحق اليقين ٥٣٦ ـ ٥٣٧ .

(٢) سورة الفجر : الآية ؛ ٢٣ .

من الهبوط والملائكة حولهم واقفون يدعون وينادون أيها الربّ الحليم ، اغفر لهؤلاء واعف عن هؤلاء بفضلك وجودك ، وسَلّمْهُم ، ليجاوزوا الصراط ويقطعوا الصراط ، فمن اجتاز الصراط برحمة الله الواسعة ، قال : الحمد لله ، وبنعمة الله تتمّ صالحات الأعمال ، وتنمو الحسنات وأحمد الله الذي نجّاني منك بفضله ومنّه ، بعد أن كنت قد يئست ، انّ ربنا لأعمال العباد غفور شكور[1] .

روى الثقة الجليل حسن بن سعيد الأهوازي عن الإمام الباقر (عليه السلام) : «أنّ رجلاً جاء إلى أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) فبشره بتكاثر غنمه وقال له : يا أبا ذر البشرىٰ بأن غنمك قد ولدت وتكاثرت . فقال أبو ذر : لا يسرني كثرة الغنم ولا أحب هذا ، وكل ما قلّ وكفاني خير مِمَّا كثر وشغلني فاني قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : الرّحم والأمانة على طرفي الصراط ، فمن وصل الرّحم وأدّى الأمانة سار على الصراط فإنّ طرفي الصراط يحفظانه عن السقوط والهبوط في النار»[2] .

وفي رواية أُخرى : إذا ورد قاطع الرحم وخائن الأمانة الصراط ، فإن أعماله الحسنة لا تنفعه ما دامت له هاتان الخصلتان وتسقطانه في النار»[3] .

الحكاية :

نقل السيّد الأجلّ المؤيد ، العلامة النحرير ، بهاء الدين ، السيد علي بن السيد عبد الكريم النيلي النجفي ، ذو الشأن الرفيع والمناقب الجليلة ، وتلميذ الشيخ الشهيد وفخر المحققين في كتاب (الأنوار المضيئة) باب فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ،

---

(١) بحار الأنوار ٨/٦٥ ح ٢ .

(٢) نفسه ٢٢/٤١٠ ح ٢٧ .

(٣) يستفاد هذا المضمون من الحديث الأول .

نقل هذه الرواية في مناسبة عن والده ، أنه كان بقرية (نيلة) وهي قريتهم ، رجل يتولّى خدمة مسجد تلك القرية ، فلم يخرج من بيته يوماً ، فذهب الناس إلى بيته يطلبونه الخروج ، فاعتذر عن ذلك لأنه لم يكن يقدر على الخروج ، فتحقق الناس أمره ، وتبيّن لهم أنّ النار التهمته وأحرقت جسمه إلاّ فخذيه إلىٰ الرّضفة وهو يتألّم من حرقة جروحه ، وسأله الناس السبب ، فقال : رأيت في المنام أن القيامة قد قامت ، والناس في حرج عظيم ، وكثير منهم يساقون إلى النار ، وأنا ممّن ساقوني إلى الجنّة ، فلمّا توجّهت إليها بلغت جسراً عريضاً طويلاً جدّاً ، سمّوه بالصّراط ، وكلما قطعنا مسافة من الجسر تقلّص عرض الجسر وامتدّ طوله إلى أن صار كحدّ السيف ، ووجدنا تحته وادياً فيها نار غليظة سوداء ، وفي النار جَمراتٌ كالجبال ، ينجو بعض الناس ، ويسقُطُ بعضهم في النار ، وكنت أتمايل يميناً أو شمالاً ، كَمَن يُسرفُ على السقوط ، إلى أن بَلغتُ نهاية صِراط ، فلم أتمالك نفسي ، وسقطت في النّار مغموراً ، ووصلتُ بنفسي إلى حَافّة وادي النار ، فكلّما حاولت أن أتشبث بشيءٍ ، فلم أجد ما أتعلّق به ، فكنت أستغيث ، والنار تسحبني إلى الأسفل ، في تيّار شديد ، فخطر ببالي أن أنادي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، فناديته ، وإذا برجلٍ واقف إلى جانب الوادي . قلت : يا سيّدي ، يا أمير المؤمنين . فقال : ناولني يدك . فمددت يدي إليه ، فأخذها ، وشدّني ، وطَرَحَنِي في جهة من الوادي ، وأزال النار ، بيده الكريمة ، عن جهتي فخذي ، وأفقت مِن نومي مستوحشاً ووجدت نفسي في هذه الحالة التي لم يسلم جسمي سوى المواضع التي لمستها يد الإمام (عليه السلام) . وكان يتداوى ثلاثة أشهر حتى تحسنت حاله ، وما كان يقصُّ حكايته على أحد إلاّ وتنتابه الحُمَّى (انتهى) .

ذكر أعمالٍ تُيَسِّرُ اجتياز هذه العقبة ، عدا صلة الرَّحم وأداء الأمانة وقد سبق ذكرهما .

١ ـ روى سيّد بن طاووس في كتاب الإقبال أنَّه إذا صلّى إحدى وعشرين ركعةً بعد صلاة المغرب ، في ليلة أول شهر رجب يقرأ في كل ركعة سورتي الحمد والتوحيد ويسلّم بعد كل ركعتين حفظه الله وحفظ أهله ومـاله وأولاده وأمنّـه مِن عذاب القبـر ، واجتاز الصـراط بـلا حسـاب كالبرق[1] .

٢ ـ رُوِيَ أنه من صام سِتَّة أيّام مِن شهر رجب كان آمناً يوم القيامة واجتـاز الصراط بلا حساب[2] .

٣ ـ وروى السيـد أيضـاً أنـه مَن صلّى عشـر ركعـات في ليلة التـاسـع والعشرين من شعبان فقـرأ في كلِّ ركعـةٍ سورة الحمـد مرَّة والتكـاثر عشر مرّاتٍ ، والمعوَّذَتين عشر مـرّاتٍ والتوحيـد عشر مـرّات ، أعطاه الله ثـواب المجدّين والمجتهـدين ، وأثقـل ميـزانـه من الحسنـاتِ ، وسهَّلَ عليه الحساب . واجتاز الصراط كالبرقِ الخاطف .

٤ ـ قلنا في الفصل السابق أنه من زار الإمـام الرضـا (عليه السـلام) على بُعد قبره ، زاره الإمام في مواطنَ ثلاثة يوم القيامـة لينقذه مِن أهـوالها وأحد هذه الأهوال عند الصراط[3] .

---

(١) إقبال الأعمال ٦٣٩ .

(٢) ثواب الأعمال ١٣٦ .

(٣) بحار الأنوار ١٠٢ / ٣٤ .

الخاتمة

عذاب جهنّم

في ذكـر بعض الأخبار الـواردة في شدّة عـذاب جهنّم (أعـاذنـا الله تعـالى منهـا) وقصص للخـائفين وبعض الأمثـال من بلوهـرويوزاسف وغيرهما ممّا ينبّه المؤمنين فأمّا الأخبار فهي :

الأول : روي عن أبي بصير ، بإسناد صحيح ، قوله ، أنّي قلت للإمام الصادق (عليه السلام) : يابن رسـول الله ، خوّفني من عـذاب الله فقد قسا قلبي . فقال : «يا أبـا محمد ، استعـدّ لحياة طـويلة بعيدة وهي حياة الآخرة ، لا نهاية لأمدها ، وتفكّر فيها ، وتهيّأ لها ، فقـد جاء جبرائيل إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، يوماً وهـو مكفهرّ وعليه آثار الحزن والكآبة ، بخلاف ما كان من عادته أنّه يأتي الـرسـول (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) بشـوشـاً متبسّمـاً ضـاحكـاً مسروراً ، فقال لـه النبي (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) : ما بـالك يـا جبرائيل ، أراك اليوم حزينـاً مغمومـاً ، قال جبـرائيل : لقـد وضعت منافيخ جهنم اليوم وتوقفت عن النفخ . فقال النبي (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) : ما هي منـافخ نـار جهنم ؟ قال جبـرائيل : يـا محمد (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) . لقـد أمـر الله (تعـالىٰ) أن ينفـخ في جهنم ألف سنــة حتى ابيضّت ، ثم نفـخ في نـار جهنم ألف سنـة

أخرى حتى احمرّت ، ثم نفخ فيها حتى اسودّت ، وهي الآن سوداء مظلمة ، ولو سقطت قطرة من الضرّيع (وهو عرق أهل النار ، من قروح وريم فروج الزانيات ، المغلي في قدور ومراجل جهنميّة ، ويسقىٰ منه أهل جهنم بدل الماء) في مياه أهل الدنيا لمات جميع أهل الدنيا من جيفته ، ولو جعلت حلقة واحدة من سلسلة طولها سبعون ذراعاً (توضع على رقاب أهل النار) على الدنيا ، لهلك أهل الدنيا ، ولو علّق ثوب من ثياب أهل النار ، بين الأرض والسماء ، لهلك أهل الدنيا من رائحته الكريهة. فلما أتمّ جبريل مقاله ، بكىٰ وبكىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) كلاهما ، فأرسل الله (تعالىٰ) إليهما ملكاً يقول : انّ الله (تبارك وتعالىٰ) يقرؤكما السلام ويقول : لقد أمّنتكما من معصية تستوجب العذاب ، ومنذ تلك **اللحظة كان الأمين جبرائيل كلما جاء إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان متبسماً ضاحكاً»** .

وقال الصادق (عليه السلام) : «في القيامة يدرك أهل النار عظمة جهنم والعذاب الإلهيّ ، كما يدرك أهل الجنة عظمتي الجنة ونعيمها ، وإذا دخل أهل النار جهنّم ، يسعىٰ سبعين سنة حتى يصل من قعرها إلى فوقها ، وكلمّا وصل إلى الحافّة ، أُنزِل على رأسه الضربة بمدق من حديد وتردّهم إلى القاع ، ثم يغيّرون جلودهم بجلود جديدة ليؤثر فيهم العذاب تأثيراً أكثر من ذي قبل . فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) لأبي بصير : هل يكفيك ما قلته لك ؟ قال أبو بصير : كفاني»[1] .

الثاني : روي في خبر عن الصادق (عليه السلام) **أنّه** قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : حينما دخلت السماء الأولى في ليلة المعراج ، فرح من رآني من الملائكة وسرّ برؤيتي ، إلى أن رأيت

---

(١) بحار الأنوار ٨/ ٢٨٠ ح ١ .

ملكاً لم أر أعظم منه جثة في هيئة منكرة ، والغضب باد من جبينه ، فحيّاني كما فعل غيره من الملائكة من التحية والثناء ، دون أن يضحك أو يبدي سروره . فسألت جبرائيل عنه الذي أهابني وأخافني ؟ قال : إنّه مالك خازن جهنم ، نهابه جميعاً فليس ببعيد أن تخاف منه ، لم يضحك يوماً ، يزداد غضبه يوماً بعد يوم على أعداء الله والعاصين منذ أن ولّاه الله جهنم ، وأنّ الله يأمره أن يقهرهم وينتقم منهم ، ولو قابل أحداً قبلك مبتسماً أو يقابل بعدك أحداً بشوشاً ، لقابلك أيضاً ولفرح بلقائك .

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : فابتدرته بالسلام ، وردّ عليّ ، وبشرّني بالجنّة ، فقلت لجبرئيل لمكانته وشوكته في السماوات ، حيث يطيعه أهل السماوات ، قلت له : مر مالك جهنم ليريني نارها . فقال جبريل لمالك جهنم : يا مالك ، أر محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلم) نار جهنم . فرفع مالك الحجاب ، وفتح باباً من أبواب جهنم ، وإذا بزبانية من لهيبها قد تصاعدت إلى السماء وسطعت وزأرت بحيث هالني الوضع ، ثم قلت لجبريل أن مره يسدل الستار ، فأمر مالك اللهّيب ، فعاد إلى موضعه»[1] .

الثالث : روي عن الصادق (عليه السلام) ، بإسناد موثوق أنّ الله (تعالىٰ) ما خلق أحداً إلّا وخصّص له منزلاً في الجنة ومنزلاً في جهنم ، فإذا ما انتهى الأمر ، وسكن أهل الجنة في منازلهم ، وأهل النار في مساكنهم ، ينادي المنادي أهل الجنة أن انظروا إلى جهنّم ، فَيُشرفون عليها ، وينظرون إليها ، ويرون منازلهم فيها ويقال لهم أن كنتم قد عصيتم فهذه كانت مساكنكم فيفرحون ويبتهجون لخلاصهم من ذلك العذاب بحيث لو كان الموت ميّسراً في الجنة ، لماتوا من

(١) نفسه ٢٩١/٨ .

شدة الفرح والابتهاج . ثم ينادي المنادي أهل جهنم أن ارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى منازلكم ، فينظرون إلى مساكنهم في الجنة وإلى نعيمها ونِعَمِها الوافرة ، ويقال لهم : هذه منازلكم لو كنتم قد أطعتم الله ، فتستولى عليهم حالة من الاغتمام والاحتصار الشديد بحيث لو كان الموت ميسّراً في جهنم،لماتوا حزناً وغمّا واحتصاراً ، ويتمّ التبادل المنزلي وتعطى منازل العاصين (في الجنة) الذين دخلوا النار ، للمثيبين الذين دخلوا الجنة ، كما تعطى منازل المثيبين (في النار) الذين دخلوا الجنة ، للعاصين الذين دخلوا النار ، وهذا هو تفسير الآية التي قالها الله (تعالىٰ) في شأن أهل الجنة : ﴿**أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾[1] ومتنعّمون[2] .

الرابع : وروي عنه أيضاً أنه : إذا دخل الجنة أصحابها ودخل النار أصحابها ، ينادي المنادي من جانب ربّ العزّة ، أن يا أهل الجنة والنار ، هل تعرفون الموت إذا تجلّىٰ بصورة من الصور ؟ فيقولون : لا . فيؤتى بالموت في هيئة خروف ذي لونين (أبيض وأسود) ويجعلونه بين الجنة والنار ، ويقال للناس : هذا هو الموت فانظروا إليه ، ثم يأمر الله به ، فيذبح ، ويقول الله (تعالىٰ) : يا أهل الجنة ، أنتم مخلّدون فيها ، لا يأتيكم الموت أبداً ، ويقول لأهل النار : يا أهل النار ، أنتم مخلّدون فيها ، لا يأتيكم الموت أبداً ، وهذا هو معنى قوله (تعالىٰ) : ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر**﴾[3] .

قال الصادق (عليه السلام) : «والمراد منه هذا اليوم الذي يأمر الله فيه أهل الجنة والنار بالبقاء والدوام والخلود في مقامهما دون أن

---

(١) سورة المؤمنون : الآيتان ؛ ١٠ ـ ١١ .

(٢) بحار الأنوار ٨/١٢٥ و ٢٨٧ .

(٣) سورة مريم : الآية ؛ ٣٩ .

يأتيهم الموت ، وفي ذلك اليوم يتحسّر أهل النار ولا تنفعهم الحسرة فتنقطع آمالهم»[1] .

الخامس : عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّه قال : «في جهنّم كهوف وأنفاق للمذنبين ، وربطت أرجلهم بالسلاسل ، وغلّت أيديهم في أعناقهم ، وعليهم ثياب من نحاس محمّر وعلى الثوب جبّة من نار ، وهم في عذاب جهنم ، بنار حامية ، وأبواب جهنم عليهم موصدة ، لن تفتح حتى يدخل عليهم نسيم ، ولن يزول عنهم غمّ وحزن ، فعذابهم متواصل ، وعقابهم يتجدّد ، لا نهاية لاعمارهم ولا لاقامتهم فيها ، يستغيثون بالمالك ليسأل الله (تعالىٰ) أن يميتهم ، فيُجيبهم : انكم في العذاب خالدون[2] : **﴿ونادوا يا مالك ، ليقض علينا ربّك ، قال : إنّكم ماكثون﴾**[3] .

السادس : وعن الصادق (عليه السلام) بإسناد موثق : «أنّ في جهنّم بئر يستعيذ منها أهل النار ، وهو مَقَرُّ كل متكّبر جبّار ومعاند وشيطان متمرد ومن لا يؤمن بيوم القيامة ويعادي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) . وقال : أخفّ أهل النار عذاباً في جهنم في لجةّ من نار وفي قدميه نعلان من نار ولنعليه رباطان من نار ، يغلي دماغه من شدة الحرّ كما يغلي القدر المنصوب على النار ، يحسب عذابه أشدّ عذاب أهل النار بينما يكون عذابه أخف عذاب الآخرين من أهل النار»[4] .

---

(١) وفي البحار ٨/٣٤٥ أيضاً رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) باختلاف بسيط عما نقلناه .

(٢) وفي بحار الأنوار ٨/٢٩٢ خذلهم في النار .

(٣) سورة الزخرف : الآية ؛ ٧٧ .

(٤) وفي بحار الأنوار ٨/٢٩٥ : أنّ في النار لناراً . .

في بيان قصص الخائفين

القصة الاولى :

روي الشيخ الكليني بإسناد موثق عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) : «أنّ رجلاً ركب مع أهله سفينة ، فتحطمت السفينة وغرق ركابها إلاّ زوجة الرجل ، حيث تعلقت بخشبة ونزلت في جزيرة من الجزر . وكان في الجزيرة رجل فاسق ، لا يجد فسقاً إلا عمله ، فرأى المرأة وقال : أأنتِ من الجنِّ أم مِن الإنسِ ؟ قالت المرأة : أنا من الإنس . فما كلّمها ، بل تعلّق بها يريد مجامعتها ، فوجدها مضطربة مرتجفة . فسألها عن اضطرابها ، وأشارت المرأة إلى السماء تريد أنها تخاف الله وتخشاه . فسألها الفاسق : هل أقدمتِ على عمل كهذا ؟ فأقسمت المرأة بالله أنّها ما زنت في حياتها ، قال الفاسق : أنّك ما فعلت فعلة فاحشة وتخافين الله مع أنك كرهت وأنا عزمت على إلزامك وإجبارك على العمل القبيح ، وأنا أولى بالخوف والخشية ، ثم قام ولم يقدم على ذلك ، وتركه ، ولم يكلّم المرأة وسار إلى بيته ، وهو نادم ، يريد التوبة .

وفي الطريق ، صادف راهباً ، وصاحبه في مسيره ، واشتدّت حرارة الشمس ، فقال الراهب للرجل : حرارة الشمس شديدة ، فادع

ربّنا يظلّل علينا . قال الرجل : ما فعلت خيراً ، وما قدّمت حسنة لأجرؤ على أن أدعو الإله فيجيبني . قال الراهب : أنا أدعو وتقول : آمين . ففعلا ذلك . فجاءتهم سحابة وظلّلتهم ، ومشيا في ظلّها مسافة ، ثم افترقا ، وصاحب الظلّ الرجل ، تاركاً الراهب في الشمس وحرّها ولهيبها . قال الراهب للرجل : لقد فُضِّلتَ عَلَيَّ واستجيب دعاؤك ولم يُستَجَبَ دعائي ، فأخبرني عمّا فعلته بحيث استحق عملك هذه الكرامة والعطاء . وقصّ الرجل قصّته على الراهب . قال الراهب : تركت المعصية خوفاً من الله وخشية ، فغفر الله من ذنبك ما تقدم وما تأخر فكن على طهارتك ولا تقدم على منكر ولا تفعل فاحشة»[1] .

القصّة الثانية :

روى الشيخ الصدوق (عليه الرحمة) أنّ معاذ بن جبل جاء يوماً إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) باكياً وسلّم عليه ، فردّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) على سلامه ، وسأله عن سبب بكائه ، فقال : يا رسول الله وقف ببابك غلام نظيف صبيح يبكي على شبابه بكاء الثكلى ، ويستأذن الدخول عليك . فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : أدخله يا معاذ ، خرج معاذ وعاد ، ومعه الغلام ، ولمّا دخل الغلام وسلّم ، ردّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) عليه ، وسأله : مالك تبكي ؟ قال الغلام : لم لا أبكي وقد عصيت ربّي كثيراً ، ولو يؤاخذني ببعض ما صدر عني ، لساقني إلى النّار ، ولا أظنّه يغفر لي .

سأله النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : هل أشركت بالله ؟ قال : معاذ الله ، يا رسول الله ، أن أشرك به . فسأله : هل قتلت نفساً بغير حقّ ؟ قال : لا . قال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : يغفر الله لك ذنوبك حتى إذا بلغت الجبال في ثقلها وعظمتها . قال الغلام : انها أعظم من الجبال . قال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : يغفر الله

---

(١) بحار الأنوار ٧٠/٣٦١ ح ٦ .

ذنـوبك لـو بلغت قدر الأرضين السّبـع ، والبحار ، والأشجـار ، ومـا في الأرض من الخلائق ومن مخلوقات الله تعالى . قال الغـلام : انّها أعـظم ممّـا ذكـرت . قـال النبي (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) : يغفـر الله لـك ذنـوبك لـو كـانت بقـدر السمـاوات والنجـوم والعـرش والكـرسي . قـال الغـلام : انّها أعـظم ممّـا قلت : فنـظر إليـه النبي (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) نظر الغاضب ، وقال : يا غلام ، أيّهما أعظم ، ذنبك أم ربّـك ؟ فوقع الغلام على الأرض ساجـداً قائـلاً : سبحان ربّي العـظيم ، لا أكبر من الله شيء ، وهو أعظم من كلّ شيء .

قال رسول الله : هل يغفر الذنب العظيم غيـر الرّبّ العـظيم ؟ قال الغلام : لا والله يا رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) وسكت . قال رسول الله : يا غلام ، ألا تذكر لي ذنباً من ذنـوبك ؟ قـال الغلام : لقـد كنت أنبش القبور لسبع سنين ، وأسـرق أكفان المـوتى . فماتت فتـاة من فتيـات الأنصـار ودفنت . فلمـا جـاء اللّيـل ، نبشت قبـرهـا ، وأخـرجت جسدها ، وأخذت كفنها ، وتركتها عارية غير مكسوّة إلى جـانب حفرتهـا وعزمت على العودة ، فوسوس لي الشيطان وزيّنها في قلبي ، يقول : ألا ترى بياض جسمها اللطيف ؟ ألا ترى فخدها الخدلة والسّمينـة ؟ وما زال يغريني ويرّغبني فيها ، إلى أن عدت إليهـا ووطئتهـا ، ثم تركتهـا وعدت إلى بيتي .

فسمعت صوتاً يناديني ويقول : ويل لك أيها الغلام ممّا يقضي الله بيننـا يوم القيـامة ، يـوم نقف أمامـه أنا وأنت ونشتكي إليـه فيمـا نختصم بيننـا ، فقد أعـريتني كفني بعد أن أخـرجتني من قبـري ، وسلبت منّي ، وتـركتني عاريـة وبالجنـابة محشـورة ، فويـل لك وعلى شبـابـك من نـار جهنّم . فكيف أستطيع أن أشمّ رائحة الجنة بجرمي وجريـرتي . قال لـه النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلم) : ابتعـد عنّي يا فـاسق فقد أخشى أن أحترق بنارك ، فما أدناك وأقربك إلى نار جهنم ، وكان يكرّر هذه الألفاظ

إلى أن خرج ونأى عنه ، فذهب الغلام السوق وأشترى زاداً و ارتقى جبلاً من جبال المدينة ، وعليه ثوب خلق ، وانصرف إلى العبادة وقد جعل يديه في غلّ ، يصرخ ويقول : «يا ربّ هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول إلهي انك تعرفني وتعلم ذنوبي ، إلهي ندمت ، وإلى نبيّك ذهبت ، وعليه عرضت توبتي ، فطردني ، وأخافني ، فأسألك بأسمائك العظمى ، وبجلالك وعظم مقامك أن لا تؤيسني من رحمتك ، وتقبل دعائي وتضرّعي ، ودام في بكائه وتضرّعه أربعين يوماً بحيث تبكي عليه الوحوش ، ولما تمّ أربعون يوماً ، رفع يده إلى السماء يقول : ما فعلت بحاجتي ؟ فإن كنت قضيتها لي وغفرت لي ذنوبي ، أوح إلى نبيّك ليخبرني على ذلك ، وان لم تغفر لي وترحمني وتريد عقوبتي فابعث لي بنارك في هذه الدّنيا تحرقني ، أو عذابك وعذّبني في هذه ، ولا تفضحني يوم القيامة»، فأنزل الله هذه الآية دلالة على قبول توبته : **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلّا الله ـ إلى قوله تعالىٰ ـ ونعم أجر العاملين﴾**[1] .

فلما نزلت هذه الآية ، خرج النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وهو يقرأها ، ويتبسّم ، ويسأل عن بهلول . فقال معاذ : يا رسول الله : لقد سمعت أنه في موضع كذا . وتوجّه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) واصحابه إلى الجبل ، وصعدوه ، فوجدوه واقفاً بين قطعتين من الحجر ، وقدّ شدّ يديه ، وربطهما إلى رقبته وعنقه ، واسودّ وجهه من حرارة الشمس ، وقد سقطت أهداب عينيه من كثرة البكاء ويقول : ربّ ، لقد خلقتني بأحسن ما خلقت ، ليتني أعلم ما تريد أن تفعل بي ، أتحرقني بالنار أم تسكنني في جوار رحمتك في الجنّة ؟ إلهي ، لقد أحسنت إليّ كثيراً ، ولك الحقّ والنعمة والمنّة عليّ ، وليت شعري أعلم ماذا سيكون مصيري ؟ أتأخذني إلى الجنة معزّزاً مكّرماً ، أم تقودني إلى النار ذليلاً ،

(١) سورة آل عمران : الآيتان ؛ ١٣٥ ـ ١٣٦ .

إلهي انّ ذنبي أعـظم من السماوات والأرض والكـرسي الواسـع والعـرش العظيم ، فمالي لو أعلم أنك ترضى عني وتغفر لي ذنبي يوم القيامة ، أم أنـك تخزيني ، وكـان يقول من هـذا المقال ويبكي ويلطم وينثـر التراب على رأسه وقد أحاطه الوحوش من حـوله ، واصـطفّ الطيـور على رأسه يعينونه في البكاء . فدنـا إليه النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلم) ، وحـلّ الرباط من يده وعنقه ، وأزال التراب عن رأسه ، وقال : يا بهلول ، لـك البشـرى ، فقد حـرّرك الله (تعالىٰ) من نـار جهنم ، ثم قال لاصحـابـه : تداركوا ذنوبكم كما تداركها بهلول ، وقرأ عليه الآية وبشّره بالجنة»[1] .

قـال المؤلف : لقد ذكـر العلامـة المجلسي (رحمة الله عليـه) ذيل هذا الخبر في كتابه (عين الحياة) ما ملخصّه أننا يجب أن نعلم أن للتـوبة شروطاً وبواعث هي :

أول ما يبعث الإنسان على التوبة التفكر في عظمة من عصاه ، وهو الله (تبـارك وتعالىٰ) وفي عـظمة المعصيـة التي ارتكبهـا ، وعقـوبـة تلك المعاصي ، وما تجرّها هذه المعاصي من ذيـول وعواقب سيئـة في الدنيـا والآخـرة ، التي وردت في الآيات القـرآنية ، والأخبـار المروّيـة ، وهـذا التفكـر يؤدّي إلى الندم ، وهـذا الندم يسبب لـه ثلاثـة أمور تتـألف منهـا التوبة .

١ ـ ما يتعلّق بالحال ، بأن يترك في الحال ما كان يرتكبه من المعاصي .

٢ ـ مـا يتعلّق بالمستقبـل ، بأن يصمّم على ألاّ يعـود إلى تلك المعاصي إلى منتهى أجله .

٣ ـ مـا يتعلّق بالمـاضي ، بأن ينـدم عمّا فعله وارتكبـه ويتدارك المـاضي والفائت ، ان أمكن تداركه .

واعلم أنّ ما يقبل التوبة من المعاصي والذنوب على أقسام :

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٣ ـ ٢٥ .

١ ـ ذنب لا يستلزم حكماً آخر غير العقوبة الأخروية مثل لبس الحرير ، وحلقة الذهب والخاتم الذهبي للرجال ، فيكفي الندم لتوبته ، والعزم على تركه مما يزيل الجزاء في الآخرة .

٢ ـ ذنوب تستلزم حكماً آخر وهي على أنواع :

من الذنوب ما هي من حقّ الله (تعالىٰ) وحقوقه ، وفيها ما يخصّ الخلق . وممّا يخصّ الله ، فهو إمّا حقّ مالي كأن أذنب أحد وعليه تحرير رقبة ورقاب ، فمن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فلا يرفع عنه العذاب حتى يدفع تلك الكفارة ، ولا يكفي النّدم وحده . أو حقّ غير مالي ، مثل فوت الصلاة أو الصوم فعليه قضاؤهما ، وإن كان قد فعل ما يستحق الحدّ الذي عيّنه الله ، مثل شرب الخمر ، فله الخيار أن لا يبوحَ به لأحد ، ويتوبَ بينه وبين الله ، أو يعترف به عند حاكم ديني ويجري عليه الحدّ الشرعي ، والأحسن أن يكتمه ويتوب لله .

وإذا كان حقّاً للناس ، فإذا كان حقّاً ماليّاً فيجب دفعه إلى صاحبه أو وراثه ، أمّا إذا كان حقّاً غير ماليّ ، فإذا كان قد أضلّ إنساناً عن طريق الصواب ، فعليه إرشاده ثانية ، وإذا كان ممّا يوجب الحدّ ، مثل الشتيمة ، فإذا علم الشخص بإهانته وشتمه وسبّه ، فعلى الشاتم أن يستعد لتنفيذ الحدّ عليه ، وأن تبلغه الشتيمة ولم يعلم بها ، فهناك اختلاف بين العلماء ، فأكثرهم يعتقدون أن ابلاغه يؤلمه ويهينه ، فلا داعي لابلاغه ، وكذلك الغيبة انتهى[١] .

القصّة الثالثة :

روى ابن بابويه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان جالساً يوماً قائظاً تحت ظلّ شجرة ، فجاءه رجل ، خلع ثيابه يتلّوى على الأرض ويضع بطنه على الأرض حيناً وجبينه حيناً آخر ويقول : تذوّقي يا

---

(١) عين الحياة ١٨٩ ـ ١٩٠ .

نفس ، فإنّ عذاب الله أشدّ وأعظم من هذا ، ورسول الله ينظر إليه . ثم لبس ثيابه . فطلبه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقال : يا عبد الله ، لقد رأيت منك ما لم أر من أحد غيرك ، فما الذي بعثك على هذا ؟ قال الرجل : الخوف من الله بعثني على هذا فأذقت نفسي هذا الحرّ لتعلم عذاب الله الذي هو أحرّ وأسخن وأنّها لا تطيقه . فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لقد خشيت الله ، فما لهذا الخوف ، وأن الله (تعالىٰ) تباهى بك على ملائكة السماء ، ثم قال لاصحابه : أدنوا إلى هذا الرجل ليدعو لكم ، ولما دنوا إليه : قال : اللّهم اجمع أمرنا على الهداية واجعل زادنا التقوى واجعل رجوعنا مصيرنا إلى الجنة[1] .

القصة الرابعة :

روي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : «أنّ امرأة زانية كانت في بني إسرائيل وفتنت عدداً كبيراً من شبّان بني إسرائيل ، فقال بعضهم : لو رآها ذلك العابد الشهير لأغريَ بها . وسمعت المرأة كلامهم وقالت : والله لا أذهب إلى بيتي أو أفتن العابد . وفي الليلة ذاتها قصدت بيت العابد ، وطرقت بابه وقالت : أيها العابد ، آوني الليلة لابيت عندك وفي بيتك حتى الصّباح ، فأبى العابد . قالت : لقد عزم بعض شباب بني إسرائيل أن يزني بي ، وهربت منهم ، فلو لم تفتح الباب لوصلوا إليّ وفضحوني . وسمع العابد مقالها وفتح الباب . فلما دخلت المرأة البيت خلعت ثيابها . ورأى العابد جمالها ففتن بها واشتاق إلى لقائها ، وبسط يده إليها ، ولكنّه تذكر مخافة الله وانصرف عنها . وكان له قدر على نار حامية . فاخذ يده على النار . سألته المرأة عمّا يفعل . قال : أحرق يدي كفارة عما ارتكبت من الذنب والخطأ . خرجت المرأة تخبر بني إسرائيل بما يفعله العابد . ولما جاء بنو إسرائيل ، كانت يد العابد قد احترقت[2] .

(١) بحار الأنوار ٧٠ ـ ٣٨٧ .

(٢) نفسه ٣٨٧/٧٠ ـ ٣٨٨ .

القصة الخامسة :

روى ابن بـابويـه عن عروة بن الـزبير أنـه قال : كنت جـالسـاً مـع جماعة في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يـوماً ، فـذكرنـا أعمال أهل بدر وعباداتهم وما لأهل بيعة الرضوان . فقال أبو الدّرداء : يا قـومِ ، أتريـدون أن أخبركم عمّن كـان أقـلّ الصحـابـة مـالاً ، وأكثـرهم عملاً ، وأسعاهم في العبادة ؟ قالوا : من هو ذاك ؟ قـال ذاك هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

فلمـا سمعوا كـلامه ، أداروا عنـه وجـوههم . فقـال لـه رجـل من الأنصار : لقد قلت ما لم يوافقك أحد . فقال أبو الـدرداء : لقد قلت مـا رأيت ، وانقلوا ما رأيتم . لقد التقيت بـه في نخيلات بني النجـار ليلة ، وكـان قد انـزوىٰ من أصحابـه ، واختفى خلف النخيـل ، يقـول بصـوت حزين :

«إلهي ، مـا أَكثَـرَ الـذنـوب المهلكـة التي ارتكبتهـا وصبـرت ولم تعـاقبني ، ومـا أكبـر المسـاوىء التي صـدرت عنّي وتفضلت عليّ ولم تفضحني . إلٓهي لئن قضيت عمـري كثيراً في معصيتـك ، وعظم ذنـوبي في صحيفة أعمالي فلا رجاء لي سوىٰ عفوك ومغفرتك ورضاك» .

قـال أبـو الـدّرداء : فتتبّعت الصـوت وعلمت أنـه أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالب (عليه السـلام) ، فاختفيت خلف الأشجـار ، وصلّى الإمام ركعات ، ولمّـا فرغ من صـلاته ، دعـا وبكىٰ وناجىٰ ، وممّـا كان يقرأ : «إلٓهي ، إذا تأملّت في عفوك وامعنت النظر في كرمك سهلت عليّ ذنوبي ، ولو تذكرت عذابك وعقابك عظمت عليّ بلايـا ذنوبي . أوّاه لـو قـرأت في صحيفتي ذنوبـاً كنت قـد نسيتهـا ، وأنـك أحصيتهـا ، فتـأمـر الملائكة أن اقبضوا عليه ، فويل لمأخوذ قبض عليه ، ولأسير لا يستـطيع أهله وعشيرته وقبيلته وجميع أهل المحشر أن ينقذوه ويرحموه» .

ثم قال (عليه السلام) : أوّاه من حرّ نـار يشوي الأكبـاد والأظهر ،

ويزيل الجلود من الرّؤوس ، ومن زبانية جهنم البالغة الغامرة» .

ثم بكى الإمام (عليه السلام) طويلاً وانقطع صوته ، فقلت في نفسي : لعلّه غلب عليه النوم لشدّة الأرق ، فدنوت منه لأنبّهه يستيقظ لصلاة الفجر . فحركّته ولم يتحرّك ساقطاً على الأرض لا يشعر كالخشب الجامد اليابس ، فقلت : (انا لله وإنا إليه راجعون) وعدوت إلى بيته لأخبر الزهراء فاطمة (سلام الله عليها) بما حدث ورأيت . فسألتني عن حالته وما هو فيه : فشرحت لها ما سمعت وما كان من أمره ، فقالت : يا أبا الدّرداء ، هذا صرع ينتابه أغلب أوقاته خوفاً من الله وخشية منه .

فأمرت فاطمة (عليها السلام) بماء رشّ على وجهه الشريف فصحا واستعاد حالته الطبيعية ، ونظر إليّ وقال : ما يبكيك يا أبا الدّرداء ؟ قلت : أبكي ممّا أرى ما تفعل بنفسك ووجودك . فقال أمير المؤمنين : يا أبا الدّرداء ، لو رأيتني يوم القيامة أحضر للحساب إذ تيقَّنَ المذنبون أنفسهم بعذابهم ، وأحاطني ملائكة غلاظ ، وزبانية عابسة بسوء الخلق ، وحملوني إلى الخالق الجبّار ، وتركني جميع الأحباب ، وترحمّ عليّ جميع أهل الدنيا ، فهل ترحمني أمام خالق لا يخفى عليه شيء ؟ فقال أبو الدّرداء : والله ما رأيت عبادة كهذه من أصحاب النبي قطّ[1] .

قال المؤلف : رأيت أنّه من الجدارة بمكان أن أنقل إلى هنا مناجاة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بألفاظه التي كان يناجي بها ربّه ، لمن شاء أن يقرأها في تهجّد ليله ، وهذه المناجاة الشريفة كما ذكرها شيخنا البهائي (رحمه الله تعالى) في كتابه مفتاح الفلاح . وهي :

«إلٓهي ، كم من موبِقَةٍ حَلُمتَ عن مقابَلَتِها بِنقمَتِكَ ، وكم من جَرِيرَةٍ تَكَرَّمتَ عن كشفها بكرمك . إلٓهي ، إنّ طال في عصيانك عمري ، وعَظُمَ في الصّحف ذنبي ، فما أنا مؤمّل غير غُفرانِك ، ولا أنا براج غير رضوانك» .

---

(١) نفسه ٤١/١١ ـ ١٢ ح ١ .

«إلّهي ، أفكرّ في عفوك فتهون عليّ خطيئتي ، ثم أذكر العظيم من أخذك ، فتعظم عليّ بليّتي . آه إن قرأت في الصّحف سيّئة أنا ناسيها ، وأنت محصيها ، فتقول : خذوه ، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولاَ تَنفعُهُ قبيلته . آه من نار تنضج الأكباد والكُلىٰ . آه من نار نزّاعة للشوّى . آه من غمرة من لهبات لظىٰ»[1] .

القصّة السادسة :

روي عن الصادق (عليه السلام) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان يصلّي يوماً صلاة الصبح في المسجد ، فرأى شاباً يدعىٰ الحارثة بن مالك شاحب الوجه أصفره ضعيف الجسم نحيفه ، مقعرّ العينين ، لا يقوى على اقامة رأسه من شدّة الأرق بحيث يسقط رأسه على صدره كلما حاول رفعه . فسأله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : كيف أصبحت ، وما بك يا حارثة ؟ قال : أصبحت باليقين يا رسول الله . قال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : لكل دعوى شاهد وعلامة ودليل وحقيقة ، فما علامة يقينك ؟ قال الحارثة : حقيقة يقيني هي أنّ يقيني يُحزِنُني وَيَغُمُّنِي ، ويُؤَرِّقُنِي وَيُسهِرُنِي ، وَيَحمِلُنِي على الصيام في النهار القائظ ، ورغب قلبي عن الدنيا وكره ما بها وفيها ، وقد بلغ بي اليقين بحيث كأنّي أرى عرش الربّ قد نصب في المحشر للحساب ، وحشر الخلائق كلّهم ، وكأني بينهم ، وكأنّي أرىٰ أهل الجنة في النعيم ، على الآرائك متكئين يتعارفون ويتحادثون ، وكأنّي أرى أهل النار معذبين يستغيثون ، وكأن زفير جهنّم في أذني .

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : هذا عبد نوّر الله قلبه للإيمان . ثم قال النبي : أثبت على ما أنت فيه أيها الفتىٰ . قال الشاب : ادع لي يا رسول الله أن يرزقني الله الشهادة . فدعا له النبي

(١) وفي البحار نفسه اضافة بعد قبيلته : «يرحمه الملأ إذا أُذِنَ بالنداء» . وفيه أيضاً ملهبات بدل اللهبات .

(صلّى الله عليه وآله وسلم) وبعثه النبي (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) بعد بضعة أيام مع جعفر بن أبي طالب إلى الجهاد في سبيل الله ، فكان سابع من استشهد في الحرب[1] .

* * *

(١) بحار الأنوار ٧٠/١٧٤ .



في ذكر بعض الأمثال لتنبه المؤمنين

١ ـ قال بلوهر : يحكى أن فيلاً سكران كان يطارد رجلاً ، إلى أن بلغه ، فاضطر الرجل إلى أن يلقي بنفسه في بئر أمامه ، وأن يتعلّق بنبتتين نابتتين إلى جانب البئر ، ثم وقع بصره إلى جذورهما ، فرأى جرذين أحدهما أبيض والآخر أسود ، يقرضان الجذور يريدان قطعهما من أصلهما ، ونظر في البئر فرأى أربع أفاع أخرجت رؤوسها من جحورها ، وفي القاع ثعبان مبين فتح فاه ينتظر لقمته وفريسته حتى إذا سقط في البئر ابتلعه ، فرفع رأسه فرأى رأسي النبتتين ملطخين بالعسل ، فانشغل بالعسل يلحسه ويلعقه ويستلذّ بأكله ، فشغله العسل عن الأفاعي ، لا يدري متى تلسعه ، ومن كيد الثعبان إذا ما سقط في فيه .

فأمّا البئر فهي تمثل الدنيا المليئة بالبلايا والمصائب والرزايا والآفات ، والنبتتان تمثلان عمر الإنسان ، والجرذان الأبيض والأسود فيمثلان الليل والنهار اللذين يقطعان حبل العمر على الدّوام وبصورة مستمرة ، والأفاعي الأربعة تمثل الأخلاط الأربعة في الجسم بمنزلة السموم القتّالة من السوداءِ ، والصفراءِ ، البلغم والدّم ، لا يعلم صاحبها متى تهيج وتهلكه ، والثعبان يمثل الموت الذي ينتظر الإنسان ويطلبه دائماً ، والعسل الذي أغري به الإنسان ، وشغل به عن الأمور الأخرى ،

فهو متاع الدنيا وعيشها ونعيمها ونِعَمُها ولذائذها[1] .

قال المؤلف : لم يُذكَر مَثَلٌ أحسن من هذا في انطباقه مع ممثله في غفلة الإنسان من الموت وأهوال ما بعده ، وانشغاله بلذائذ الدنيا العاجلة الفانية ، فينبغي للإنسان أن يتأمل في هذا المثل علّه يتنبه من غفلته .

وفي الخبر أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) دخل سوق البصرة ، ونظر إلى الناس الذين يبيعون ويبتاعون ، فبكى بكاء مرّاً وقال : يا عبيد الدنيا وعمّال أهل الدنيا ، تتاجرون في النّهار وتحلفون بالإيمان ، وتبيتون في فراشكم في الليل ، وأنتم بينهما غافلون عن الآخرة ، فمتى تُعِدُّونَ الزّاد وتستعدّون للرحيل وتكفّرون ليوم المعاد ؟ .

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : أبناء الأربعين ، زَرعٌ قد دنا حصاده ، أبناء الخمسين ماذا قدّمتم وماذا أخرّتم ؟ أبناء الستّين هلمّوا إلى الحساب ، أبناء السّبعين ، عدّوا أنفسكم في الموتى[2] .

وفي الخبر أنّ الدّيك في صياحه يقول : تذكّروا الله أيها الغافلون واذكروه .

٢ ـ مَثَلٌ لأهل الدنيا الذين أضلّتهم الدنيا وتعلّقوا بها .

قال بلوهر : كان فيما كان ، بلاد اعتاد أهلها أن يعيّنوا رجلاً غريباً ملكاً عليهم ، فكان الرجل الغريب يحسب أنه سيحكمهم طوال حياته ، لجهله بغايتهم ، وبعد انقضاء سنة واحدة ، كانوا يطردونه من بلدهم عارياً ، صفر اليدين ، مُعوِزاً ، بحالة يُرثَىٰ لها ، ووضعٍ لَم يُعرَف له نظير ومثيل ، فهي مَلَكِيَّةٌ مقرونة بالأحزان والغموم .

---

(١) بحار الأنوار ٧٨/٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

(٢) سفينة البحار ٢/٢٥٧ مادة العمر .

«فملّكوا غريباً عليهم في سنة من سني حياتهم ، وكان ذكيّاً ، كيّساً فطناً . فتدبّر بفطنته وكياسته ووجد نفسه غريباً بينهم ، لا يعرف منهم من يطمئّن إليه ، فلم يألفهم ، ولم يأنس بهم ، بل وجد رجلاً غريباً ، كان من بلده ، يسكن في هذه المملكة ، ويعرف أحوال هذا القوم ، فقرّبه إلى نفسه ، واستشاره في كيفيّة معاملته لهؤلاء ، فقال له المستشار الغريب : إنّ الملأ سيخرجونك بعد عام ، ويبعدونك إلى نقطة كذا وهذا ديدنهم ، ومن الخير أن ترسل مسبقاً ما استطعت إليه سبيلاً من مال وأثاث خلال السنة التي تملكهم ، إلى النقطة التي تنفى إليها ، حتى إذا بلغتها تعيش بهناء ورفاه وعزّ وسلام ، ففعل الملك ما أشار إليه الناصح ، ولمّا بلغت السنة نهايتها ، وطردوه ، انتفع بماله ، وعاش حياته في نعيم ورفاه[1] .

قال المؤلف : أنّ الله (تعالىٰ) ذكر في القرآن : **﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾**[2] .

فقال الصادق (عليه السلام) : «أنّ العمل الصالح يسبق صاحبه إلى الجنّة ، ويمهدّ له مواضعه ، كما يمهّد الخادم الفراش لسيّده» .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فيما قال من قصار كلماته : «يابن آدم ، كن وصيّ نفسك ، واعمل في مالك ما تؤثر أن يعمل فيه من بعدك»[3] .

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : «واعلموا أنّ كلّ امرىء على ما قدّم قادم ، وعلى ما خلّف نادم» .

جاء في أمالي المفيد النيسابوري وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي أنّ عليّاً أمير المؤمنين (عليه السلام) رأى النبي (صلّى الله عليه

---

(١) بحار الأنوار ٧٨/ ٤١٠ .

(٢) سورة الروم : الآية ؛ ٤٤ .

(٣) نهج البلاغة .

وآلـه وسلّم) في منامـه ، فطلب منـه نصيحة ، فبسط النبي راحـة يـده ، ورأى عليّ أنه مكتوب عليها بخطّ أخضر هذين البيتين :

قـد كنتَ مَيتاً فصـرتَ حيّاً   وعـن قليـل تـعـودُ مَيتـا
فـابنِ لـدار البقـاءِ بيتـا   ودع لـدار البقـاءِ بِيتـا[1]

٣ - ذكروا أنه كـان هناك ملك في غـاية العقـل والكياسـة ، يعطف على رعيتـه ، ويسعى في اصلاح أمـورهم ، وتدبيـر شؤونهم ، وكان لـهُ وزير يتصفّ بالصّدق والصراحة ويساعـد على اصلاح أمـر الرعيـة والسير في صـلاحهم ، وكـان معتمـد الملك ومستشـاره والملك لا يخفي عنـه أمراً ، وكانا على هذا المنوال . أمّا الوزير فكان قد حضر محضر العلمـاء والأخيـار والصـالحين ، وتعلّم منهم ، وأخـذ عنهم الأدب والاخـلاق والفضيلة وقبلها قلباً وروحاً ، وحفظهـا ، ورغب في الزهـد وترك الدّنيا ، ولكنّه كان يخاف على حياته ويتّقي الملك إذا تركـه ، فيتظاهـر بالسجـدة لـلاصنام والتعـظيم لها ، وكـان يغتمُّ لِضَلال الملك شفقـةً عليه ، فكـان يتحيّن الفـرصة المنـاسبة لِنصحـه ، وهدايتـه ، وذات ليلة عندمـا هـدأت العيـون ونام النـاس ، قال الملك لـوزيره : هيّـا بنـا نـركب ، ونسيـر في البلد ، فنتفقد أحوال الشعب ، ونرى آثار الأفكار الساقطة عليهم في هـذه الأيام .

فلبّاه الوزيـر واستحسن رأيه ، وركبـا ، وسارا يتجـوّلان في نواحي المدينة وضواحيها ، ومـرّا في طريقهمـا بمزبلة ، فـوقع نـظر الملك على ضوء يأتي من صوبها ، فقال لوزيـره : لنتابـع الضوء فينكشف لنـا أمره ، فنزلا من المركب ، وسارا نحوه ، حتى بلغا نفقاً يسطع منه الضوء ، فلما نظرا بدقّـة ، وجدا درويشـاً كريـه المنظر ، ذا ثيـاب خلقة رثّـة باليـة ممّا يطرح في المزابل ، متّكئاً على وسادة صنعها من السـرجين والفضلات ، وأمامه إبـريق من الفخّار ، مليء بـالشراب ، وبيـده طنبور يعـزف عليه ،

---

(١) سفينة البحار ١/٣٩١ .

وأمامه امرأة قبيحة من أقبح المخلوقات خلقاً وشكلاً وعليها ثوب يشبه ثوب الرجل في هيئته ومنظره ومظهره ، تسقيه متى ما رغب في الشرب ، وإذا عزف على الطنبور رقصت ، ومتى شرب حيّته ومدحته كما يُفعَلُ بالملوك ، وهو يمتدحها ويلقبّها بسيدة النساء ، ويفضّلها على نساء العالمين ، وكلاهما يمدحان صاحبهما في الحسن والجمال ، وقد غمرهما الفرح والسّرور والعيش والطرب والبسمات والضحكات .

وقف الملك ووزيره مدة على قدميهما ، ينظران إليهما ، يندهشان من وضعهما القذر وحالتهما السيّئة ، وما هما فيه من متعة ولذة خيالية ، ثم أقفلا راجعين .

قال الملك لوزيره : لا أظنّ أنّنا غمرنا طوال حياتنا في لذة ومتعة بليغين مثلما وجدنا هذين في هذه الليلة وبمثل هذه الحالة ، وأظنهما كما رأيناهما في كلّ ليلة من لياليهما . فلما سمع الوزير كلام مليكه ، اغتنم الفرصة وقال : أيّها الملك ، أخشى أن تكون دنيانا ، وملوكيّتك ، والبهجة التي تغلب علينا ، من لذائذ هذه الدنيا ، لا تساوي شيئاً في نظر من يبحث عن الملوكية الخالدة ، إلاَّ هذه المزبلة القذرة وهذين الشخصين ، وبيوتنا التي نسعى في تشييدها وبنائها واحكامها لا تبدو في نظر من يبحث عن سكنى السعادة والمنازل الباقية في الآخرة ، إلاَّ مثل هذا الكهف العفن وهذه المغارة المنتنة ، وأجسامنا تبدو في نظر من يبحث عن النظافة والنضارة والجمال المعنويّ الأخروي ، كهذين الجسدين القبيحين ، في مرآنا ، وأخشى أن تكون دهشة أولئك الصلحاء السعداء عن عيشنا الزائل وبهجتنا الدنيويّة كدهشتنا على حالة هذين في سوء حالتهما .

قال الملك : هل تعرف من يتّصف بهذه الصّفات التي وصفتها لي ؟ قال الوزير ، بلى أيها الملك . قال الملك : ومن هم هؤلاء ؟ قال الوزير : هم الذين اعتنقوا دين الله ، وأدركوا الملوكيّة الآخرويّة ولذاتها

وهم في طلب سعـادة الآخـرة . قـال الملك : ومـا ملك الآخـرة ؟ قـال الوزير : انّه نعيم ليس وراءه شدّة ، ولذة ليس ورائهـا جفوة ، وغنى ليس بعـده فقر وعـوز ، وعدّد في قليـل أو كثير صفـات ملك الآخرة ، إلى أن قـال الملك : فهل إلى ذلـك الملك والنيل إلى تلك السعـادة الخالـدة ، والدخول إلى ذلك الصّرح من سبيل ؟ قال الـوزير : بلى . أنّـه معدّ لمن يطلبه ويرغب فيه ويسير على دربه فوصله . قال الملك : فلم لم تطلعني على هذا المنزل قبل هذا ، ولم تبين لي هذه الأوصاف ؟ قـال الوزيـر : كنت أخشى هيبتك وجلال ملكـك . قـال الملك : لـو كـان الأمـر كمـا وصفته ، فينبغي علينا أن لا نضيّعـه ، بل علينـا أن نسعى في استحصاله ونميّز أخباره ونظفر به .

قال الوزير : هـل تسمح لي أن أذكر لك أوصاف الآخرة بين حين وآخـر ، لتزداد يقينـاً ؟ قال الملك : بـل آمـرك بـذلـك ، وأن تلقي عليّ وتعيد وتكرّر ليل نهار وأن لا تدعني أنشغل عن هـذا الأمر ، ولا تتـركَ ما أمـرتك بـه لأنه أمـر غـريب يجب أن لا نستصغـره ولا نتسـاهـل فيـه ولا نغفله . ثم اتخذ الملك ووزيره سبيل النجاة بعـد هذه المحـادثة ، ونـالا السعادة الأبديّة[1] .

قال المؤلف : لقد رأيت أنـه من الجدارة بمكـان أن أنقل في هـذا المجال بعض ما جاء في خطب أمير المؤمنين عليّ (عليه السـلام) تبرّكـاً وتيّمناً ومزيداً لتبصّر المؤمنين ، حيث قال (عليه السلام) : «احذروا هـذه الدنيا الخدّاعة الغدّارة التي قد تزيّنت بحليّها ، وفتنت بغرورها ، وغَـرَّت بـآمالهـا ، وتشوّقت لخـطّابها ، فـأصبحت كالعـروس المجلوّة ، والعيون إليها ناظرة ، والنفوس بها مشغوفة ، والقلوب إليها تائقة ، وهي لأزواجها كلّهم قـاتلة ، فلا البـاقي بالمـاضي معتبر ، ولا الآخـر بسوء أثـرهـا على الأول مزدجر»[2] .

---

(١) بحار الأنوار ٧٨/٤١٠ ـ ٤١٢ .

(٢) سفينة البحار ١/٤٦٦ مادة الدنيا .

ثم بيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) دناءة الدنيا بأنّ الله (تعالىٰ) أخذ الدنيا من أوليائه ووسّعها لأعدائه ، فكّرم الله نبيّه محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلم) عندما ربط على بطنه الحجر من شدّة الجوع ، وكرّم نبيّه موسى الذي كان يأكل حشائش الصحراء لسدّ جوعه ، وداوم في ذلك حتّى ظهرت خضرة لون الحشائش من خلف جلد بطنه ، لشدّة ضعفه وقلّة لحمه ، وأشار الإمام إلى بعض زهد الأنبياء»، ثم قال : «لقد عدّ هؤلاء الأنبياء الدنيا لأنفسهم بمنزلة الميتة المحرّمة أكلها على كلّ فرد ، إلاّ في حالة الضرّورة ، وذلك بمقدار ما يحتاج إليه ، قوتاً لا يموت ، واحتفاظاً على حياته وروحه ، فكانت الدنيا عندهم كالجيفة العفنة التي إذا مرّ بها أحد غطّى أنفه وفمه لكراهة رائحتها الشديدة ، وثم يأخذون من الدنيا اضطراراً بمقدار ما يوصلهم إلى منازلهم ، ولا يشبعون لنتنها ، فيعجبون لمن يأخذ منها ويأكل إلى درجة الشّبع ، فيملأ بطنه ، ويرضىٰ لحظّه من الدنيا ونصيبه منها .

فوالله يا أخواني ، إنّ الدنيا بمثابة الميتة العفنة وأنتن منها وأكره ، لمن يرى خير نفسه ، أمّا من نشأ في المدبغة وترعرع فيها ، فلا يشعر بالنّتن ، ولا تؤذيه رائحته ، كما تؤذي غيرهم من المارّة ومن الذين يجلسون عند هؤلاء الدّباغين » .

وقال (عليه السلام) ، أيضاً : « . . . وإيّاك أن تغترّ بما ترى من أخلاد أهلها ، وتكالبهم عليها ، فإنّهم كلاب عاوية ، وسباع ضارية ، يَهِدُّ بعضها على بعض ، يأكل عزيزها ذليلها ، وكثيرها قليلها»[1] .

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) : «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عِراقِ خنزير في يدِ مجذوم»[2] ، وهذا أقصى درجة التحقير والاحتقار ، لأنّ العظم أهون من كلّ شيء وخاصة

(١) نهج البلاغة ؛ سفينة البحار ١/٤٦٧ .
(٢) نهج البلاغة .

إذا كـان عـظم خنـزيـر ، وأخصّ منـه إذا كـان في يـد مصـاب بـأخبث الأمراض ، وهو الجذام ، فإذ ذاك لا أخبث منه ولا أحقر .

٤ ـ مثـل لمن تنعمّ في عمره وحيـاته بنعم الله (تعـالىٰ) ، ثم ابتلي كفر بأنعم الله ، والتوى عن منعمه الأصلي وهـرع إلى غير ربّـه ، وارتكب ما لا ينبغي أن يرتكبه ، وهذا المثل ذكره شيخنـا البهائي (عليـه الرحمـة) في كشكوله نظماً في الفارسية ننقله لقرائنا الأعزّاء إلى العربيّة :

كـان في جبل لبنـان عابـد يقيم في كهف من كهوف الجبـل ، كما أقـام أصحاب الـرّقيم (المذكـورون في القرآن الكـريم) . فلوى قلبه عن الحق واعتزل هناك ظنّاً منه أنه وجد كنز عزّة في العزلة ، وكان العابد هذا يصـوم نهاره فتصله كسـرة خبـز وقت عشـائـه ، يتعشّىٰ بنصفهـا ويتسحّـر بنصفها الآخر ، وهـو في غايـة السّرور بقنـاعته ، وكـان الحال على هـذا المنـوال يجـري دون أن ينـزل من جبله إلى سفحـه وسهله ، وذات ليلة انقـطع عنـه الـرغيف فضعف ونحف الـزاهـد من شـدّة الجـوع ، وصلّى المغرب والعشاء قلقاً مضطرباً يفكر في عشـائه ، ولم ينم ليلتـه تلك ولم يتهجّـد قلقاً واضـطراباً ، ولمّـا أصبح الصبـح انحدر العـابـد من مقـامـه الخّلاب ليحصل على قوت ، وكان إلى جوار الجبل قـرية ، يسكن فيهـا المجوس والأشرار ، فوقف على باب مجوسي فأعطاه المجوسي رغيفاً أو رغيفين ، فأخذ العابد الخبز وشكر للمجوسي احسانه ، وانبَسَطَت ملامحه لبلوغ وطره واستحصال قوته ، وعـزم على العودة إلى حيث أَتَى ، لِيُفْـطِرَ بخبز من الشعير .

وكان بباب المجـوسي كلب أجرب ضعيفـاً نحيفاً من شـدّة الجوع لدرجة أنّه مات فرحاً إذ وقع بصره على شكـل رغيف ، كما زال عقله إذ سمع لفظة الخبز لأنه يظنها الخبـز ! تبع الكلب العـابد ، وتعلّق بثـوبه ، فرمى إليه العابد رغيفاً ، وجرى العابد كيلا يلحقه الكلب ، ويصيبـه أذى منه . أكل الكلب الرغيف ولحق العابد ليسيئه ويؤذيه ، فرمى إليـه الثاني

وهو يعدو ، ليأمن شرّه وعذابه وأذاه ، وأكل الرغيف الثاني وتبعه كما يتبع الظلّ صاحبه ، وينبح ويعضّ ثوبه ويمزّقه . ولمّا رأى العابد سماجة الكلب ، قال : ما رأيت كلباً أكثر سماجة وأقلّ حياء منك ، فإن صاحبك لم يعطني سوى رغيفين وقد اخذتهما منّي أنت النّذل ، فلم تلحقني وتلاحقني وتمزّق ثيابي ؟

فانحلّت العقدة من لسان الكلب ونطق قائلاً : افتح عينيك يا عارف فلست أنا بنذل ، لقد سكنت في مهجومة هذا المجوسي العجوز منذ صغري ، أرعى غنمه وأحرس بيته ، فيتفضّل عليّ برغيف حيناً وبعظمة حيناً آخر ، وقد ينسى اطعامي ، فيستولي عليّ الجوع ، ويعود مذاقي علقماً من المجاعة ، وقد تمّر عليّ أيّام لا أرى فيها رغيفاً ولا أشم خلالها رائحة عظم ، وقد لا يحصل المجوسي خبزاً لي ولنفسه ، ولم أدعه إلى غيره لأنّي نشأت ببابه وقضيت أيامي وحياتي إلى جواره ، ولزمت بابه شاكراً أو صبوراً ، وتأخّر رغيفك ليلة واحدة ، فانفطر صرح صبرك ، وانصرفت عن باب رازقك وهرعت إلى باب مجوسي ، وتركت خليلك لرغيف ، وصالحت عدوّه ، فاقض ما أنت قاض ، مراعياً المروءة والانصاف ، أيّنا أقلّ حياء بل وأعدمه ، أنت أم أنا ؟ !

فدهش العابد وصفع نفسه يضرب بيده على رأسه وزال عقله وشعوره وأغمى عليه . فَيَا كلبةَ نفس البَهائي ، تعلّمي القناعة من كلب هذا المجوسي العجوز ، فلو لم يفتح الصّبر عليكِ باباً فَاعلَمِي أنّك أقلّ شأناً من كلب المجوسِ الأجرب[1] .

قال المؤلف : ما أطيب المقام لذكر ما قاله سعدي الشيرازي وأحسن وأجاد بقوله : أجلّ الخلائق ـ على ما يظهر ـ هو الإنسان ، وأذلّ الموجودات هو الكلب ، واتفق العقلاء على أنّ الكلب الشكور خير من العبد الكفور .

---

(١) كشكول الشيخ نظماً في الفارسية ١ / ٢٢٠ ونثراً بالعربية ١١٤ .

لو رميت لقمة خبز إلى كلب ، فانه لن ينسى إحسانك وفضلك ، حتى وإن رميته مائه مرّة بالحجر ، أما إذا تلطفّت سافلاً ، فإنّه يقف في وجهك محارباً بِأَنفَهِ ما لَا يَرضَى منك ، وجدير بالذكر هنا أن نذكر هذا الخبر الشريف الذي يُنوّر القلب والبصر :

روي أنّه كان للإمام الصّادق (عليه السلام) غلام ، يرافقه كلمّا ركب إلى المسجد ، وإذا نزل الإمام عن فرسه ودخل المسجد ، يأخذ الغلام عنان الفرس حتى يعود ، وذات يوم كان جالساً على باب المسجد وبيده عنان الفرس ، إذ ظهر نفر من أبناء خراسان ، وقال أحدهم للغلام : أيّها الغلام ، لي مال كثير ، فهل تستعيض موضعك بموضعي ، وتقبض ما لديّ من المال فأخدم سيّدك ، إن وافق سيّدك على ذلك ؟ قال الغلام : سأسأل سيّدي وأرى رأيه .

ثم ذهب الغلام إلى الإمام ، وقال : روحي فداك يا سيّدي ، إنّك تعلم صادق خدمتي لك ، فإذا رزقني الله خيراً ، هل تمنعه عنّي ؟ قال الإمام : انّي لأتحفك بالخير ذاته ، وأمنعك من غيري . فقصّ الغلام على الإمام قصة الخراساني وما جرى بينه وبينه . فقال له الإمام : إن كنت قد رغبت عن خدمتنا ، ورغب الخراساني في خدمتنا ، فقد قبلناه وتركناك . فلمّا انقلب الغلام ليعود ، طلبه الإمام وقال : إليك نُصحي لسابق خدمتك ، فاستمع إليّ ، ولك الخيار في البقاء أو الرّواح . إذا كان يوم القيامة ، يتعلّق رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بنور «الله» ويتعلّق أمير المؤمنين علي (عليه السلام) برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، والأئمة بأمير المؤمنين وشيعتنا بنا ، فيدخلون أينما دخلنا . فقال الغلام : إنّي لأختار الآخرة على الدنيا ، وأبقى في موضعي ومقامي ولا أتزحزح عنه، ثم خرج إلى الخراساني . فقال الخراساني للغلام : لقد خرجت في هيئة غير التي كنت عليها حين دخولك على الصادق (عليه

السلام) . فنقل إليه الغلام كلام الصادق (عليه السلام) وأخذه إلى الإمام ، فقبل الإمام ولاءه، وأمر بأن يدفع للغلام ألف دينار .

قال الفقير إلى رحمة ربّه : سيّدي ، أيها الإمام العظيم أني لأجد نفسي ببابك مذ عرفت نفسي ، وقد نشأ جسمي ، لحمه وجلده على نعمك ، فرجائي أن تحفظني في هذا الشطر الأخير من عمري ولا تطردني من بابك ، وأنا القائل دائماً بمذلّة وافتقار :

عن حماكم كيف أنصرف　　وهواكم لي به شرف
سيّدي لا عِشتُ يومَ أَرَى　　في سوى أبوابِكم أقِفُ

٥ ـ لدناءة الجهل وخفّته ، والحثّ على العلوم والفنون والآداب .

قال أبو القاسم الراغب الاصفهاني في كتابه (الذريعة) أنه دخل رجل عاقل حكيم على رجل ، فوجده خُلُوّاً من العلم والأدب والفضيلة عارياً من المزايا الإنسانية لكنه يشبه الإنسان في زيّه وشكله ومنظره ، أمّا بيته فمحلّى بالفرش الفاخرة ومزّين بالبسط الممتازة . فبصق الحكيم في وجه الرجل . فغضب الرجل ، وقال : ما هذه السّفاهة منك يا قليل الأدب ؟ قال الحكيم : انّه حكمة وليس بسفاهة ، لأنّ البِصاق يُرمى في أرذل مواضع البيت وأحقرها ، ولم أجد في بيتك أدنى نقطة وأحَطّ موضعاً من وجهك ، ولذلك بصقت عليه .

قال المؤلف : لقد نَبّه هذا الرجل العاقل الفاضل على قبح الجهل ودناءته وأنّ القبح والكراهة لا يزولان بلبس الثياب الفاخرة ، والتستر خلف الأستار المزركشة وما إليها ، ولكن لا يخفي على كلّ إنسان ، أن فضيلة العلم تظهر إذا صَحِبَ العلم العمل وانضمّا إلى بعضهما فإنّ العالم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر .

قال عيسى بن مريم (عليه السلام) : «أشقى الناس من هو معروف

عند الناس بعلمه ، مجهول بعمله» .

لقد تمّ ما قدّر ثبته وضبطه في هذه الرسالة الشريفة ، في منتصف شهر رمضان المبارك ، وفي يوم ميلاد السبط الجليل ، خير الورى ، مولانا الإمام الحسن (عليه السلام) سنة ١٣٤٧ هجرية قمرية ولأنّها تمّت في هذا الشهر الشريف فاختمها بدعاءين شريفين :

١ - روي الشيخ المفيد في كتاب (المقنعه) عن الثقة الجليل علي بن مهزيار عن الإمام أبي جعفر ، محمد بن علي الجواد (عليه السلام) أنّه يستحبّ أن يكرّر الإنسان في ليالي شهر رمضان وأيّامه منذ بدئه إلى نهايته ، هذا الدعاء : «ياذا الذي كان قبل كلّ شيء ، ثم يبقى ويفنى كلّ شيء ، ياذا الذي ليس كمثله شيء وياذا الذي ليس في السماوات العلى ، ولا في الأرضين السفلى، ولا فوقهن ، ولا تحتهّن ، ولا بينهنّ إلّه يعبد غيره ، لك الحمد حمداً لا يقوىٰ على احصائه إلاَّ أنت ، فصلّ على محمد وآل محمد صلاة لا يقوى على احصائها إلاَّ أنت» .

٢ - روي الكليني وغيره أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) علّم زرارة هذا الدعاء ليقرأه في زمن الغيبة وامتحان الشيعة ومحنتهم ، وهو : «اللّهم عرّفني نفسك ، فإنّك إنّ لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك ، اللهم عرفني رسولك فانك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللّهم عرّفني حجتك فانك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني» .

لقد دوّن العلماء أنّه من وظائف الإنسان في زمن الغيبة الدعاء لإمام العصر والزمان (عليه السلام) والتصدّق عن وجوده الطاهر ، ومن الأدعية الواردة له بعد حمد الباري وتمجيد الله (تعالىٰ) ، والصلاة على رسوله محمد وآله (عليهم السلام) هو أن تكثر من هذا الدعاء : «اللّهمّ كن لوليّك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة

وفي كل ساعـة ، وليّاً وحـافظاً ونـاصراً ودليـلاً وعيناً حتى تسكنـه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً» .

كتبه العبد عباس القميّ في سنة سبع واربعون بعـد ألف وثلاثمـائة في جوار الروضة الرضوية ، لا زالت مَهبَـطاً للفيوض الـربّانيـة ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .



فهرس محتويات الكتاب

فصل :

فصل :

فصل :

فصل :

ـ قصص الخائفين :

في ذكر بعض الأمثال :